

إبداع النسق .. والعولمة

الفن هو نبض العالم.. والمبدعون في أتونه هم مشكاة أنوار كل شعب تنير دروبه العتيمة.. وتحشده في مشهد البهجة العارمة.. وأصالة المبدع تكمن في فرادته وثراء صياغته وإنسانية خطابه ونار أسئلته وإحساساته التي يفتحها على كل رديء استلابي ..

المبدع الخالد هو الذي يثير النقع ويستمر .. هو الذي يخلخل الرؤيا .. ويستمر .. وهو الذي يوقظ أحلام الناس نحو عوالم العشق .. والنقاء والعطاء .. والفيض الخصب .. ويستمر .. وهو الذي ينسج من نسقه نغما حيا .. يعلو فوق التباين ويعرج للخلود ..

ضمن هذه المقاربات .. ونحن واقفون على بوآيات القرن القادم نشهد إرهاصات وارتجاجات السائد والتاريخ كأنه مخاض الكون في كبرى منعطفاته الحاسمة .. تحيي، فتوحات العولمة Mondialisation أو Globalisation بالأمريكاني .. تحتاج التاريخ محملة بنبوءاتها التبشيرية : أن كل شيء سيكون تحت طائلة الإنكشاف التام .. وكل شيء سيؤمَّم ويعمَّم بمذلول إنصهار الكل في وحدة نسق .. وأي نسق!!! كأن الكل سينخرط طوعا أو كرها في عالمية النموذج ..!

.. وبرغم هذا الوقع السريع والإكراهات التي تستهدف إختراق الذات والخصوصيات .. تظل هناك أنساق متجذرة الكيان وتظل هناك عناصر مضيئة تؤلف الرأسمال الرمزي لكل نسق حتى لا يفتتن أو يتبدد .. والمبدعون هم الفاعلون الحضاريون والذين يؤمنون تجلينا .. يؤمنون فرادة النسق وأصالته .. « فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدكوا تبديلا » .

بالأمس رحل عنا الشاعر العربي الكبير عبد الوهاب البيّاتي (3 أوت 1999) جاء في نعي إتحاد الكتّاب التونسيين القول : « ... وقد خسرت الحركة الثقافية العربية برحيله رمزا من رموز الحداثة الشعرية كرس حياته للإبداع والتنوير ... » « لقد ترك البيّاتي رصيда شعريا هائلا هو عبارة عن حقل كبير .. » (الشاعر البشير المشرقي) .. هذا الحقل سيظل الفردوس العربي نفتات منه ونشتم في أرجائه كل أفانين الشعر .. وينابيع العطاء من داخل النسق .. وهو دأبنا في الإتحاف . وقد كان الرأجل أحد مزيدينا الكبار ... أهدانا يوما قطافا من عناقيد عبقريته .. قصيدة بخطّ يده معنونة بـ « من بعض ما أهمله أبو فرج الإصبهاني في كتاب (الأغاني) ... وسنفرد لشاعرنا ملفا خاصا في عدد قادم ...

ولئن كان البيّاتي رجالة الشعر العربي من مثفى إلى مثفى .. من بغداد إلى الصين فإنه لم يستعمل للآخر بل أثنى مشهد كل بلد استضافه .. وكذلك كان نزار قبّاني والجواهري .. وغيرهم وكانت تونس هي حضنهم الدافئ .. وأوبتهم إليها تظل حتمية ذلك ما يشهد به كل مبدع أصيل .. زارنا ولم ترحل مهجته .. ولم تحفّ ينابيعهم حين أبهرونا في مسارح كبرياننا التاريخي : قرطاج .. والجم .. وسببيلة .. ودقة وغيرها .. وهؤلاء : ماجدة الرومي ونجاة الصغيرة وصباح فخري .. ووديع الصافي وكاظم الساهر ودسوكورو الإيطالي .. إلخ .

تلك هي بعض رؤيانا الإتحافية التي نؤثسها في شفقنا بخصوصيتنا التونسية .. وإمّيازنا الحداثي .. وسحننا العربية في زمن العولمة .

التحرير

العولمة والمجتمعات المحلية

بقلم : محمد بالراشد

منطلق الدراسة :

يعود منطلق هذه الدراسة إلى الملاحظة الآتية :

في الوقت الذي طغى فيه الحديث عن العولمة في الأوساط الإعلامية ، بل في الأوساط الأكاديمية ، يعرف العالم ظاهرتين مختلفتين حدّ التناقض .

وتتصل الظاهرة الأولى باندفاع << الشباب في أرجاء العالم لشراء نفس الموسيقى أو الملابس أو موضة قص الشعر القادمة من مراكز الحضارة الحديثة ، ومن المفارقات أنهم يحاولونهم للحاق بأحدث الموضة لتأكيد فرديتهم إنما يحدثون التأثيرات المجتمعية للتراكم السلوكي والتجانس الثقافي العالمي >> (1) .

وتتعلق الظاهرة الثانية - وعلى العكس من الأولى - بـ << قوى >> قبلية << عاتية تعارض بفاعلية ما تحدّثه الاتجاهات العالمية من تحجّاس معياري للقيمة >> (2) وتتمثل هذه القوى العاتية في النزعات العرقية التي تحتاج مختلف قارات العالم بدءاً من المكسيك وروسيا وسيرلانكا إلى البحيرات الكبرى في إفريقيا .

إنّ هذه المفارقة - التي صارت تميّز العالم أو القرية الكونية بحسب عبارة علماء الإتصال - تدعونا إلى التساؤل عن العولمة وأبعادها ؟ وعلاقتها بهذه العودة إلى التفوق على الذات في << أطر اجتماعية ضيقة كالنعرات الأثنية والطائفية والثقافات الفرعية ، ثقافات الجهات والأقليات >> (3) . ولعلّ ما يميّز هذه الأطر التي كان يعتقد أنها صارت من رموز الماضي - أنها لا تهدّد فقط مقولة العولمة وإنما تهدّد كذلك الوحدة الوطنية .

وللإجابة عن هذين السؤالين سنحاول البحث في علاقة المجتمع بالعولمة .

1. العولمة :

تعدّ << العولمة ترجمة لكلمة Moudialisation الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المحدود إلى اللامحدود الذي ينأى به عن

كل مراقبة . والمحدد هنا أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية ومراقبة صارمة على مستوى الجمارك : تنقل البضائع والسلع ، إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي ، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة . << (4)

أما اللامحدود فهو << العالم كله فيكون إطار الحركة والتعامل والتبادل والتفاعل على اختلاف صوره السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها متجاوزا الحدود الجغرافية المعروفة للدول المختلفة >> (5)

وبذلك تكون العولمة خروجا عن الحدود الوطنية وتجاوزا لمبدأ سيادة الدولة الوطنية . وقد ظهر مصطلح << العولمة >> في بادئ الأمر في << مجال المال والتجارة والاقتصاد . غير أنه لم يعد مصطلحا اقتصاديا محضا . فالعولمة الآن نظام عالمي أو يراد لها أن تكون كذلك يشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال ... إلخ كما يشتمل أيضا مجال السياسة والفكر والايديولوجيا >> (6) .

وهكذا تتخذ العولمة كتجاوز للحدود شكل نظام أي نسق بكل ما تعنيه كلمة نظام من تكامل وتساند الأجزاء لضمان استمرارية عمل النظام أو النسق (7) . وهذه الأجزاء المتكاملة والمتساندة التي ضمنت استمرارية عمل النظام هي بالأساس الاقتصاد والإعلام ومن خلالها برز فاعلون عالميون جدد هم الشركات المتعددة الجنسية من ناحية والمؤسسات الإعلامية الضخمة من ناحية ثانية .

ويبدو من البديهي في هذا الخضم أن يتراجع دور الدول القومية أمام هؤلاء الفاعلين وتتسم الشركات متعددة الجنسية . التي هي أبرز الفاعلين على الساحة الدولية . بـ << تعدد الأنشطة التي تشتغل بها دون أدنى رابط فني بين المنتجات المختلفة ، فشركات التلفون والتلغراف الدولية تملك مثلا شركة فنادق شيراتون ، وشركة . تايم واير . تشتغل بعدد كبير من شركات النشر والإعلام والملاهي من ستوديوهات هوليوود إلى المجلة الأمريكية الشهيرة إلى شبكة الأخبار CNN مروراً بالتلفزيون بالكابل وتلك مظاهر نشاطها الرئيسية التي لا تمنعها من تملك صحف أخرى ومحطات تلفزيون >> (8) .

وقد جعل تعدد الأنشطة هذا . والهادف بالأساس إلى تحقيق الحد الأقصى من الربح .

من الشركات المتعددة الجنسية >> الأسياذ الجدد في عالم لم تعد فيه الدولة القومية قادرة على ضبط اقتصادها الخاص ، فضلا عن السيطرة على حركة الرساميل في الأسواق العالمية .>> (9) .

وبما أن العولمة لا تقتصر على الهيمنة الإقتصادية فحسب وإنما >> تتضمن أشكالاً متنوعة من الهيمنة الثقافية والايديولوجية والفكرية >> (10) فإنها توظف وسائل الإعلام وقنوات الإتصال >> لتدويل الاقتصاد والثقافة >> (11) .

وللإشارة فقط هناك >> عدد ضئيل من الشركات لا تزيد عن 15 شركة تتحكم في المواد والوسائل والمؤسسات والتقنيات الإعلامية والإعلانية (12) ومن هنا يأتي دور هذه المؤسسات الإعلامية الضخمة >> كمحرك رئيسي في خلق وتشكيل منظومة العلاقات الدولية سواء على المستوى الرسمي بين الحكومات والأنظمة أو المستوى الحضاري بين الثقافات المختلفة بأعلاء شأن ثقافات معينة على حساب ثقافات أخرى >> (13) .

وقد ساهمت هذه المؤسسات الإعلامية الضخمة والتي تعتمد وسائل تكنولوجيا متطورة في بلورة ما يطلق عليه علماء الإتصال بـ >> القرية الكونية الإتصلية >> . ولكنها أدت كذلك وبمحجم إختلال عملية تدفق المعلومات بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية إلى استيراد هذه الأخيرة لقيم وثقافة الأولى وهي >> ثقافة مختزلة إلى مستوى السلعة حيث الشكليات هي السائدة وحيث >> المظهر >> يصبح نوعاً من الايديولوجيا . فالمخازن التجارية والساحات >> العامة >> المغلقة والأحياء >>المفقرة >> في الضواحي السكنية هي الكنائس الجديدة لهذه الحضارة التجارية . أما المنتجات الحديثة فليست سلعا عينية بقدر ماهي تساهم في إثارة حساسية كونية تروجها الشعارات والنجوم والأغصاني والماركات وموسيقى الفواصل الإعلانية >> (14) .

وبذلك يكون التوجه العام لهؤلاء الفاعلين الجدد هو العمل على ترويج بضائع انتجتها الشركات متعددة الجنسية عبر التشجيع على الإستهلاك وذلك بغاية تعميم نمط حياتي معين بكل ما يختص به هذا النمط من قيم وأفكار وتوجهات سياسية وثقافية . وهو ما يؤكد أن العولمة ليست مجرد نظاما اقتصادي بسل هي

» تمتد إلى مجالات الحياة المختلفة سواء في السياسة أو الإعلام أو الثقافة بوجه عام « (15) . فالعولمة تستلزم حرية الأسواق وزوال الحواجز الجمركية وتستلزم كذلك نمطا محددا من الأنظمة السياسية .

عندئذ سيكون فعل العولمة شاملا لأبعاد حياة الإنسان المختلفة ، ودون اعتبار لمبدأ سيادة الدولة القومية . بما يعنيه ذلك من إعادة بناء العالم من خلال إعادة بناء الذاكرة الجماعية للمجتمعات عامة والمجتمعات المحلية على وجه الخصوص .

فماهي تأثيرات العولمة على المجتمع المحلي ؟ وكيف يكون للمجتمعات المحلية دور فاعل في إطار العولمة ؟ أي كيف يمكن للمجتمع المحلي المحافظة على خصائصه الجوهرية في خضم التوجه نحو العولمة ؟

2. المجتمع المحلي والعولمة

أ. المجتمع المحلي :

توجد رؤيتان إلى المجتمع المحلي : الرؤية الأولى تنزك المجتمع المحلي في إطار الثنائية التي دأب علماء الاجتماع على اتباعها في تقسيمهم المجتمعات مثل تصنيف إميل دوركايم المجتمع إلى مجتمع قائم على التضامن الآلي وآخر قائم على التضامن العضوي . وكذلك تصنيف مابن Maine بين مجتمعات التعاقد ومجتمعات المكانة وأبضا تصنيف كولي Cooley بين الجماعة الأولية والجماعة الثانوية ... وقبل ذلك تصنيف ابن خلدون الذي يميز بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري . ولعل ما يميز هذه الثنائيات . بالإضافة إلى كونها ضرورة منهجية . هو أنها « تضر افتراضا بموت المجتمع المحلي في المستقبل متى تطورت المجتمعات في المستقبل » (16) . كأن يصير المجتمع البدوي حضريا مثلما ذهب إلى ذلك ابن خلدون .

أما الرؤية الثانية وعلى خلاف الأولى لا تنزك المجتمع المحلي في إطار رؤية للتغيير تقول بتحول المجتمع من البسيط إلى المعقد بل هي تؤكد على « إستقلالية ظاهرة المجتمع المحلي ودوامها مع تطور المجتمع الكبير . فليس المجتمع المحلي مجرد جماعة من البشر يحتلون منطقة جغرافية محددة ويلتزمون معا بأنشطة اجتماعية واقتصادية وسياسية مكونين معا وحدة اجتماعية تحكم نفسها ولها انتماء وقيم

مشتركة . بل هو أيضا نوع من المشاركة في المصالح . وهو كذلك هدف يسعى الناس إلى تحقيقه في المجتمعات المتقدمة التي يتقصها التماسك والهوية المشتركة» (17) أو حسب « رينيه كونيغ » >> « ما يزال المجتمع المحلي يمثل تشكيلا إجتماعيا بسيطا بالغ الأهمية بين الأسرة والمنزل وبين العلاقات الاجتماعية الأكبر مثل الأمة . وفي المجتمع المحلي تنمو وتتطور عملية التنشئة الاجتماعية بالإنسان ابتداء من الحدود الضيقة حتى العلاقات الأكبر التي يدخل الإنسان عبرها للمرة الأولى إلى العالم الإجتماعي في كل عمقه واتساعه . » (18) .

وبغض النظر عن هذا الاختلاف بين الرؤيتين ، الذي يشير بالأساس اختلافا منهجيا بين التيارين ، فإن المجتمع المحلي يشير إلى حلقة وسطى بين الأسرة والمجتمع الأم وتتألف المجتمعات المحلية >> من فئات من الأفراد تربطهم أنماط منتظمة من التفاعل ، ومن ثم يمكن أن تكون قرى أو نجوعا أو مجاورات أو وحدات في مصنع أو إتحادات . وإذا أمكن أن نخترزل >> المجتمع المحلي >> إلى جانب يمكن قياسه فسوف نقول إنه مستوى عال من الإتصال المباشر والمواجهة والذي من شأنه بالتالي أن يدل على وجود أعداد صغيرة نسبيا . كما ينطوي على استقرار العلاقات الاجتماعية بين أعضائه» (19) .

وقد قدم ميشيل تايلور في مصنفه >> المجتمع المحلي والفوضى والحرية >> (1982) تعريفا أكثر دقة وبساطة للمجتمع المحلي ذلك أن تايلور >> حدد خمس سمات جوهرية تميز المجتمع المحلي وهي الآتية :

• علاقات مباشرة بين أعضائه (مما يفيد بأن أعضاء « محدودون نسبيا »)

• علاقات متعددة الجوانب (إجتماعية وثقافية واقتصادية)

• التبادلية

• مساواة تقريبية في الظروف المادية

• طائفة مشتركة من المعتقدات والقيم >> (20)

وهذه الخصائص الخمس نرى أقرب إلى خصائص المجتمعات الريفية أو بالأحرى الجماعات الريفية منه إلى خصائص الجماعات الحضرية . وعليه فأننا سنبحث بذلك في علاقة العولمة بالمجتمع المحلي انطلاقا من الريف التونسي : ساعين بذلك إلى

الإجابة عن الأسئلة التي سبق طرحها في موثقي العنصر السابق ، والتي أجاد الأستاذ خليل أحمد خليل طرحها بطريقة موزجة وبلغة >> هل صحيح أن الريفي اللبناني لا يرقص افرنجي ؟ أي إنه مازال يرقص على الإيقاع اللبناني والعربي >> (21)

ب . وقع العولمة على المجتمع المحلي :

كيف ستؤثر العولمة في المجتمع المحلي ؟ أو ماهو وقع العولمة على المجتمع المحلي ؟ للإجابة عن هذين السؤالين إرتأينا التركيز على الريف التونسي . وتحديدًا الريف بالجنوب الشرقي .

فقد عرف هذا الريف وإلى فترة قريبة جدًا بتماسك العائلة الممتدة بقوة العرش بل وإلى فترة نسبيًا أطول من الأولى بقوة القبيلة . ولكن هذا الفضاء يشهد اليوم تحولًا كبيرًا على مستويين اثنين وذلك بفعل تأثيرات العولمة عليه . وهذان المستويان هما : المستوى القيمي (الثقافي / المستوى الاقتصادي المادي) .

* فعل العولمة في المجتمع المحلي على المستوى القيمي :

لتبيين تأثيرات العولمة وتحولاتها على المستوى القيمي في الريف . مجال الدراسة . نود الإشارة إلى الظاهرتين هما : <http://Archivebet>

ـ بروز سلوكات جديدة وغير معهودة من قبل الشباب تتمثل في أغماط من الحلاقة واللباس ، وكذلك استعمال العبارات الأجنبية ـ الفرنسية وأحيانًا الإنجليزية ـ في لغة التخاطب اليومي وهو ما يؤثر على تحوّل في رؤية هؤلاء الشباب إلى الحياة .
ـ تعلّق الفتيات والفتيات بنجوم عالمين ، من عالم الرياضة أو الفن ، بل إنهم يتحدثون عن هؤلاء النجوم كمالديني أو رينالدو ، أو مادونا أو مايكل جاكسون .. إلخ وكأنهم من أقربائهم .

وللبحث في أسباب شيوع وانتشار الظاهرتين في فضاء ريفي لا يبدّ من الرجوع إلى تأثير وسائل الإعلام على هؤلاء الشباب من خلال ما تروّجه من إعلانات وصور ، فبواسطة هذه >> الصور الموحدة على شاشات مليار من أجهزة التلفزيون تتشابه الأحلام والأماني على ضفاف الأمور ويانغ تسي والأمازون والغانج والنيل >> (22) . أي أن أحلام الإنسان صارت متماثلة في جميع قارات العالم رغم الفوارق

الجغرافية والحضارية . وهذه الأعلام ستعكس على سلوكات الشباب في مختلف المناطق على هذا الكوكب . وبالتالي لم يعد من الغريب أن نرى هذا التحوّل في رموز الشباب . في << أبطاله >> ، فرموزه هؤلاء ، من صنع ثقافة عالمية جعلت الأعلام موحدة << والأعلام هي التي تحدّد الأفعال >> (23) .

وعليه فإنّ سلوكات الشباب في الرّيف مجال الدراسة ستكون ماثلة لسلوكات شباب آخرين في مجتمعات أخرى ، وفي جماعات أخرى لاريفية فقط بل كذلك مدنيّة فالسّعود بالإشراح والتفوّق إزاء استعمال عبارات أجنبيّة في حديث هؤلاء الشباب مع بعضهم أو مع غيرهم ليس شعورا خاصّا بهم . ففي << اليابان مثلا يتبادل المراهقون عبارات المجلّيزية يكادون لا يفقهون معناها للظهور بمظهر المنشرحين >> (24)

ومن ثمة جاز لنا القول أنّ القيم التي تحدّد أو تسهم في تحديد سلوك الشباب في الرّيف بأقصى الجنوب التونسي لم تعد قيما محليّة ، بل هي قيم كونيّة ، تشجّع الإستقلالية والنزعة الفردية وهي ما يتناقض وطبيعة الحياة الرّيفية . وبالرغم من أنّ الاستقلالية مثلا لا تخلو من إيجابيات ، حيث تسمح بتنوّع الآراء والأفكار وتؤسّس لحوار الأجيال داخل العائلة الواحدة . ولكن تحت شعار الاستقلالية هذا يقبل الشباب على أنماط من الحلاقة الغربية وعلى إرتداء ملابس مثيرة للإنتباه ، أو على التدخين ، فضلا عن الإقبال على الموسيقى الغربية وإيقاعاتها الصاخبة بغضّ النّظر عن الكلمات .

إنّ مجمل هذه السلوكات جعلت من الفتيان مثلا يرفضون القيام بعدد الأنشطة لا سيّما الأنشطة الفلاحية (خدمة الأرض ورعي الحيوان) والنظر إليها على أنّها رمز المتاعب والشقاء . وكأنّنا ببعض القيم من قبيل الصبر قد تمّ التخلّي عنها . والإنتنصار لقيم أخرى بديلة عنها من قبيل سرعة الرياح .

وفي الواقع لقد أحدثت ثقافة الأقمار الصناعية ووسائل الإعلام المتطورة تغييرا في القيم بل إنّها أفرزت قيما جديدة مثل الشهرة ، الرّبح الآني ، أهميّة المظهر ، أهميّة العلامة المرتداة . وقد يكون من المفيد في هذا السياق التذكير بما قاله الأمين العام لنادي روما برتراند شنايدر من أنّ << الأطباء المستقبلية لما ترسله

الأقمار الصناعية . وكذلك مولدات الكهرباء ، العاملة بالقوة الشمسية في المناطق النائية غير المربوطة حتى الآن بالشبكة الكهربائية كما هو الحال في النيجر في غرب افريقيا . اقتلعت ملايين البشر من حياتهم القروية رامية بهم في خضم أبعاد فلكية << (25)

لقد أخرجت هذه الأطباق الانسان من عزلته ، ولكنها غيرت من قيمه التي ستؤثر لا محالة في نغمة الحياة .

* فعل العولمة على المستوى الاقتصادي :

مما لا شك فيه أن تأثيرات العولمة على القيم والتي أدت إلى تراجع وحدة الجماعة الريفية وبروز الفردية ، وحُب الذات والنزعة إلى الاستقلالية ، كلها قيم ستواكبها عملية تحول في نغمة الحياة الاقتصادية .

المعلوم أن الحياة الاقتصادية للريف التونسي عامة ولريف الجنوب الشرقي التونسي على وجه التحديد ظلت ولفترات زمنية طويلة قائمة على حياة الكفاف والضروري وبدأت معالم هذه الحياة تتغير تدريجياً بعد أن ولجت بضائع المدينة إلى أعماق الريف وصارت من لوازم حياة الريفي الذي بدأ في البحث عن الكماليات .

وبدأ من نهاية الثمانينات وبداية التسعينات عرف الجانب الاقتصادي من حياة الانسان بريف الجنوب الشرقي التونسي تحولات يمكن أن نطلق عليها صفة الجزرية . فقد انتشرت محلات بيع الأكلات الخفيفة في كل القرى ، واقتحمت محلات حلالة المرأة هذا الفضاء . واكتسحت المقاهي بدورها كل القرى مؤسسة لنوع جديد من السلوكيات التي لم يعهدها الأهالي من قبل .

ولا نبالغ إذا قلنا أن حاجيات أهل الريف صارت هي نفسها حاجيات أهل المدينة فمشروب كوكا كولا مثلاً لم يترك بيتاً لم يلمسه ، بل صار من لوازم زائري الأولياء الصالحين بالمنطقة ، يصطحبونه معهم تماماً كما يصطحبون الحيوان الذي تم نذره للولي .

وإنتشار مشروب كوكا كولا هذا في الريف مجال الدراسة يذكرنا بالنجاح الهائل الذي حققته شركتا كوكا كولا وبيبسي في تطبيع الاستهلاك على المستوى العالمي . ففي تقرير موجه إلى الأمم المتحدة حول الفلبين جاء أن << عمالقة

المشروبات غير الكحولية ومنهم شركتا كوكا كولا وبيبسي أبعدت من السوق تقريبا كل أثر للمشروبات المحلية ولم تعد هذه المشروبات المحلية التقليدية تظهر إلا أثناء الحفلات أو في المطاعم السياحية بعد تزيينها لكي تضفي طابع الغربة اللازمة . وفيما عدا ذلك أصبحت كوكا كولا والبيبسي المشروبين الإيجابيين في جميع الظروف لدى الطبقات الغنية وحتى لدى "أقصر" الناس >> (26) .

والأمر لا يقتصر فقط على المشروبات غير الكحولية ، بل شمل الحليب ، ولم يعد يخلو مسكن من علب الحليب المعقم وتراجع بذلك دور حليب الماعز الذي كان مادة غذائية مهمة عند أهالي الجنوب الشرقي التونسي . وهذا يعني في نهاية المطاف أن المنتجات المحلية بمختلف أنواعها وأصنافها لم تعد تشذ الأهالي ، وعلى وجه الخصوص الشباب بل وفي أغلب الأحيان صارت منتجات سياحية عساها تدر عليهم قدرا من الأموال . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، فإن مختلف أنواع الزرابي المعروفة >> بالمرقوم >> غدت بضاعة سياحية أو هي معدة للتصدير . كما أن تربية الجمل لم تعد ضرورية إلا في المناطق التي تتوفر بها الفنادق السياحية وكأن الجمال أضحت سليفة لخط الحياة العصري لا غط الحياة البدوي .

وهكذا فإن الإقبال على إستهلاك البضائع العالمية التي لا تعترف بالحدود مثلما جاء في شعار شركة الأحذية الرياضية العالمية >> ريبوك >> على كوكب ريبوك لا وجود لأي حدود >> (27) أدى إلى دخول البضاعة المحلية إلى منطقة العولمة ، أو إن شئنا بعبارة أدق >> بسبب العولمة الجارية فإن الابتكارات المحلية تصبح بدرجة متزايدة جزءا لا يتجزأ من الابتكارات العالمية . وتفضي العولمة إلى ظهور مسار تاريخي مشترك لحضارة بشرية واحدة مهما كانت مجزأة >> (28) لكن يظل التساؤل قائما ما موقع المنتجات المحلية للآرياف العربية عامة في منافسة شركات تجارية كبرى ؟ إن هذه العلاقة غير المتكافئة ، جعلت المغازات التجارية في المدن ، والدكاكين التجارية التي أطلق عليها فردناند بروديل وكلاء السوق (29) ، صارت تروج لثقافة الاستهلاك ولعل ما يلفت النظر في هذا السياق هو بروز انتشار التعامل بالتدأين ، المعروف عند أهالي ريف الجنوب الشرقي التونسي >> بالكريدي >> (30) .

وعملية التداين هذه تعبر بوضوح عن شرح أصاب المجتمع المحلي ، لأنه فقد إحدى مقوماته التي وضعها تايلور ألا وهي : المساواة التقريبية في الظروف المادية . كنتيجة للإتخا ط في منطق نظام الأسواق السذي هو << نظام تعاقدى أكثر منه جماعى وهو بدغدغ ذاتنا الفردية من دون أن يرضى طموحنا إلى الخير العام فهو يؤمن منتجات متينة وأحلاما واهية لكنه لا يؤسس لأي هوية أو حممة جماعية . وهكذا يشرع الأبواب أمام أشكال انتمائية ضيقة وغير ديمقراطية القبلية >> (31) .

وفي واقع الأمر فلئن العالم عرف بدءا من سنة 1990 << حروبا عديدة مثل حرب بنما ، العراق ، الصومال ، رواندا ، البوسنة ، أفغانستان ، غارات إسرائيل على لبنان ، الشيشان وسيريلانكا ، يجدر بالملاحظة أن جميع الحروب في هذا الطور بدأت تأخذ طابعا محليا ، أي بين الجماعات المختلفة المكونة للمجتمع القومي . البعض يؤكد أن هذه المرحلة هي مرحلة انحلال الدولة القومية >> (32) وفي ذلك دلالة على أن << انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والأقليمية والوطنية في اقتصاد شمولي واحد يقوده أولئك الذين يقدرّون على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء >> (33) . قيد يؤدي إلى تدهور الحالة الاقتصادية لأفراد المجتمع المحلي ، مما يفضي في نهاية المطاف إلى نوع من الإنكفاء على الذات . خصوصا وأن عملية العولمة ارتبطت في العالم كله بظاهرة البطالة ترجمة لما عبر عنه الأستاذ محمد عابد الجابري بـ << كثير من الريح ، قليل من الإجراء >> (34) . والذي نكاد نجد له ترجمة ثانية حرفية في شعار <<فولكس قاجن >> << سيارات أكثر وعمل بشري أقل >> (35) . ونتيجة هذا الشعار مثالا على المجتمعات الريفية منع الهجرة إلى دول الشمال .

وهكذا مقابل نمط إستهلاكي متصاعد الوتيرة نجد إصطداما لتلك الأحلام التي دغدغت الشباب عبر الصور التي تبث من خلال الأقمار الصناعية بواقع إجتماعي يتسم بانتشار البطالة والإحباط وهو الأمر الذي يشجع على التنكر للعولمة ونهذ الآخر ، بل قد يحفز إلى الاحتماء بالعرش والقبيلة ، وعلى هذا الأساس صرنا ومثلما عبر عن ذلك الأمين العام الأسبق لسلام المتحدة بطرس غالي أمام

كوكب خاضع >> لضغط تفرزه قوتان عظيمتان متضادتان : إلهما العولة والتفكك >> (36) .

لكن وحتى لا تنتشر مثل هذه النزعات التي من شأنها أن تعيق نمو البلدان النامية كان لا بد في إعتقادنا عن جملة من الإجراءات التي تحمي المجتمع المحلي من التفكك أو من التوقع على الذات ، وتحافظ في مقابل ذلك على استمراره كرمز لثراء الانسانية وتنوعها .

ج- حفاظا على موقع المجتمع المحلي :

بما أن العولة ومشلما وصفها الأستاذ علي حرب >> ظاهرة تفرض ذاتها علينا شئنا أم أبينا ، ولا يمكننا التعامل معها بالنفي >> (37) بمعنى أن >> خيار العزلة لم يعد ممكنا ، وفي أحيان كثيرة هو خيار مستحيل ، فليست هناك دولة تستطيع أن تختار أن تبقى خارج سياق الزمن والتاريخ >> (38) فإنه من الضروري اللجوء إلى إجراءات عملية تمكن المجتمع المحلي من المحافظة على كيانه بما يعني ذلك من تنوع وثراء في الوحدة الوطنية أولا والمساهمة في نمو المجموعة الوطنية .

تتمثل هذه الإجراءات في تدعيم الأنشطة المحلية ، سواء الفلاحية منها أو الصناعية عبر مساعدة الأهالي على تنمية انتاجهم من خلال تمكينهم من وسائل انتاج حديثة بما يتيح للشباب فرصة الإقبال على هذه الأنشطة ، ثم في مرحلة لاحقة مساعدة هؤلاء المنتجين على ترويج منتوجاتهم وبياعتهم ، وذلك عبر اعتماد نظام إعلامي توجيهي يساعد على تشجيع الشباب خصوصا على استثمار طاقاتهم المختلفة ومنع تسرب البأس والإحباط إلى عزائهم .

كما تشمل هذه الإجراءات تركيز جميع الخدمات اللازمة بالفضاءات الريفية ، سواء ما اتصل منها بالخدمات الصحية أو الثقافية ... بما يشجعهم فعلا على البقاء بداخله ، ومن ثمة لا بد من مزيد من الدور التحديشي للدولة . لأن هذا الدور التحديشي هو الذي سيمكن المجتمع المحلي من الحفاظ على خصائصه الجوهرية والتي تمنع أي تقوقع على الذات عند أفرادها ولا كذلك أي ذوبان في الغير .

أما على الصعيد الإقليمي فنعتقد أن التكامل الإقليمي ، الاقتصادي والثقافي

... إلخ من شأنه أن يحدّ من وقع العولمة على الصعيدين الوطني والمحلي . فتبادل العمالة والبضائع ورأس المال كلّها عوامل من شأنها أن تحدّ من تهميش المجتمع المحلي وتجعله طرفاً فاعلاً . فسهولة ترويج البضائع المنتجة محلياً هي من العوامل التي تحفز على مزيد العمل والانتاج . وتبقى على الصعيد الإقليمي تجربة الاتحاد الأوروبي مثالا بارزا للإقتداء به .

ملاحظات ختامية :

العولمة نظام حياة شامل متكامل فيه الأبعاد المختلفة لحياة الإنسان الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، ولكّنه نظام قائم فقط على رؤية الفاعلين الجدد على الساحة العالمية لمصالحهم وهو ما من شأنه أن يؤثر سلباً على تنوع الانسانية . الوقوف في وجه العولمة ورفضها والتفوق على الذات ، لا تجدي في عصر صار فيه العالم فعلاً << قرية صغيرة >> .

المجتمع المحلي مهدد في ظلّ العولمة بأن يكون سوقاً لا غير لمنتجات الشركات متعددة الجنسية وهو ما قد يؤثر على طبيعة العلاقات الاجتماعية بداخله حيث تسود قيم حب الذات والرياح السريع ، وأما أن يرتد على ذاته ويفسح المجال للولاء للعرش والقبيلة وهو ما قد يؤثر سلباً على مسيرة التنمية في البلدان النامية عامة والعربية خصوصاً .

إنّ حماية المجتمع المحلي من الآثار الاجتماعية السلبية للعولمة كالبطالة والإحباط تتأتى من خلال تزايد دور الدولة التحديثي من ناحية وإعطاء الأولوية للتكامل الإقليمي من ناحية أخرى .

الهوامش :

1. جينوف (نيقولاي) : أربعة اتجاهات عالمية : نشأتها وعيوبها ، ترجمة أحمد فؤاد بليغ الثقافة العالمية عدد 87 / 3 / 1998 ، ص 42
2. المرجع نفسه ، ص 43
3. معلوم (حسين) : التوازن واللاتوازن في معادلة التمايز . الاتصال الحضاري ، الفكر العربي عدد 93 ، صيف 1998 ، ص 186
4. المجابري (محمد عابد) : قضايا في الفكر المعاصر : العولمة ، صراع الحضارات ، العودة إلى الأخلاق ، التسامح ، الديمقراطية ونظام القيم ، الفلسفة والمدينة . مركز دراسات الوحدة

- العربية ، بيروت 1997 ، ص 135 .
- 5 . مصطفى (هالة) : العولمة ... دور جديد للدولة ، السياسة الدولية عدد 134 ، أكتوبر 1998 ، ص 43
- 6 . المجابري (محمد عابد) : المرجع والصفحة نفسها
- 7 . تعتبر مقولة النسق " أو . النظام " أحد أبرز مقولات المدرسة الوظيفية في علم الاجتماع لمزيد التفاصيل أنظر نيقولا تيماشيف : نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها ، ترجمة جماعية ، دار المعارف بمصر . 1975 ، ص 321
- 8 . صبري عبد الله (اسماعيل) : الكوكبة : الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية الكرمل عدد 53 ، خريف 1997 ، ص 93
- 9 . باربر (بنجامين) : نحو مجتمع كوني استهلاكي : ثقافة الماك وورلد ، لومند - ديپلوماتيك ، النسخة العربية ، أوت 1998 ، ص 8
- 10 . زعرور (حسن) : اتجاهات الشركات متعددة الجنسية في ظل ثورة التكنولوجيا والاعلام ، الفكر العربي عدد 89 ، صيف 1997 ص 201
- 11 . عبد الرحمان (عاطف) : الاعلام وتحديات العصر ، عالم الفكر المجلد 23 ، عدد 1 + 2 ، 1994 ، ص 8
- 12 . زعرور (حسن) : المرجع السابق ، ص 202
- 13 . عبد الرحمان (عاطف) : المرجع والصفحة نفسها
- 14 . باربر (بنجامين) : المرجع والصفحة نفسها
- 15 . مصطفى (هالة) : المرجع السابق ، ص 44
- 16 . قنصوه (صلاح) : مناهج بحث المجتمع المحلي ، الفكر العربي عدد 37 / 38 ، ايار - مايو 1985 ص 380
- 17 . المرجع والصفحة نفسها
- 18 . ورد عند صلاح قنصوه ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها
- 19 . بيترسن (روجر) : نظرية عن التمرد : تأسيسا على المجتمع المحلي ، ترجمة شوقي جلال ، الثقافة العالمية ، عدد 68 ، جانفي 1995 ، ص 35
- 20 . ورد عند روجر بيترسن ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها
- 21 . خليل (أحمد خليل) : عاذاتنا وتقاليدنا في مهبط العولمة والحراك الاجتماعي ، الفكر العربي عدد 89 ، صيف 1997 ، ص 127
- 22 . مارتين (هانس بيتر) + شومان (هارالد) : فتح العولمة : الاعتداء على الديمقراطية والرعاية ، ترجمة عدنان عباس علي ، سلسلة عالم المعرفة عدد 238 ، أكتوبر تشرين الأول 1998 ، ص 43
- 23 . المرجع نفسه ، ص 47
- 24 . باربر (بنجامين) : المرجع السابق ، ص 8

25. مارتين (هانس بيتر) + شومان (هارالد) : المرجع نفسه ، ص 44
26. كليموونت (فريدريك) : رأسمالية بلا حدود ، شركات المشروعات غير الكحولية تسعى إلى غزو الأسواق العالمية ، نستلي ضد ليبتون ، كوكا كولا ضد بيبسي ، لومند ، ذيلوماتيك ، النسخة العربية ، جانفي 1994 ، ص 19
27. باربر (بنجامين) : المرجع السابق ، ص 8
28. جينوف (نيقولا) : المرجع السابق ، ص 30
29. بروديل (فردناند) : حركية الرأسمالية ، ترجمة محمد البكري + محمد بولعيش ، منشورات عشرين الدار البيضاء ، 1987 ص 18
30. ترجمة للفظ الفرنسي Credit وهي ترجمة حرفية
31. باربر (بنجامين) : المرجع السابق ، ص 8
32. الطراونة (محمد فايز) : ضيوف غير مدعوين والتجميع الثقافي ، الفكر العربي عدد 93 صيف 1998 ، ص 192
33. مارتين (هانس بيتر) + شومان (هارالد) : المرجع السابق ، ص 57
34. الجمايري (محمد عابد) : المرجع السابق ، ص 145
35. مارتين (هانس بيتر) + شومان (هارالد) : المرجع السابق ، ص 230
36. ورد عطف مارتين (هانس بيتر) + شومان (هارالد) : المرجع السابق ، ص 68
37. حرب (علي) : العمولة... نكون أو لا نكون ، حوار مع صحيفة القدس العربي ، الخميس 3 كانون الأول ديسمبر 1998 ص 10
38. مصطفى (هالة) : المرجع السابق ، ص 46

جون فرنسوا ريفيل
عضو المجمع الفرنسي

وضع الأفلاطونية اليوم

ترجمة وتعليق: عبد المجيد يوسف



وضع الأفلاطونية اليوم

ماهي مساهمات الأفلاطونية - التي لا تكتفي لكونها متحاذئة جديدة- بل هي تشهد في عصرنا الحالي ممارسة واهتماما متزايدين فماذا يوجد في آثار أفلاطون، الذي يفصلنا عنه حوالي ألفين وخمسمائة سنة، صالحا لنا اليوم؟

بقي لنا من آثار أفلاطون لذة القراءة أولا، فهو الكاتب العبقرى الذي لا يحتاج لا إلى إثبات ولا حتى إلى فهم لتستلذ قراءته.

إن صفة "الملمه" التي رافقته عبر العصور بهمسة إعجاب تتطبق قبل كل شيء على أسلوبه وعلى الطلاوة البارزة لمعجزته الأدبية التي لا تكاد تضاهى إذ يتناول مواضيع على غاية من التعقيد.

كما أن الإعجاب ينثال عليه في مواضيعه الأخرى، ففي محاوراته الفلسفية نجد ما يتجاوز الفلسفة.

هذه المحاورات هو الذي ابتدعها ورفعها مباشرة إلى القمة بتلك المهارة الفكهة والتلقائية في التبذخ مما لن يضاهيه فيه احد. فهو فنان مثلما أو ربما أكثر مما هو مفكر. فقد توصل بمهارة خفية إلى جعل قارئه يندمج كلياً في مناقشاته العالمية المشوقة بإستثناء ثلاث أو أربع منها تتسم بالجفاف.

فكل منا اليوم له أن يشعر بسحر قورجياس (1) أو فادر (2) كما شعر به كل الأحقاب معاصرو لوران دي ميديسيس (3) أو سيسيرون (4) أو أفلاطون نفسه حيث تتناغم الكياسة واللفظ والفكاهة ورفض كل تحذلق أو استعلاء معرفي في أشد مجالات الفكر تعقيداً مع التوالد المناسب أو الساخر للأفكار عن الحياة الأثينية واللاعيب المشحونة لطفاً والمواقف الهازلة.

ذات يوم كان سقراط مستلقياً عند جدول صغير يتسم ويتناقش حول قضية الجمال في حين كان السفسطائي اللامع بروثاقوراس (5) متوتراً يذهب ويؤوب منذ الصباح الباكر في بهو منزل الوجيبه الثري "كالياس" مضيفه في أثينا، في الوقت الذي كان في تلامذته يبادرون إليه شريهين إلى كلماته متراحمين حوله لإستيعاب شرح مقولته الشهيرة: "الإنسان هو مقياس كل الأشياء، ما وجد منها وماعدم"

عندما ظهر "ألسياد" (6) فجأة نصف سكران تحيط به جماعة من المحتفين الصاخبين، كان ذلك إيان المأدبة حيث كان المدعوون يتناقشون حول حقيقة الحب فدعي ألسياد للجلوس وتناقص حرجه بفضل أسئلة سقراط فعن له أن يصوغ أفخم صورة وأطرف امتداح يمكن أن يسبغ على "المعلم" هذه الصولات الجدلية التي لا تضاهي من حيث الكياسة - كما لو كانت ندى فكراً - سبقي - حسب عبارة المؤرخ ثوسديد (7) كنزا أبدياً.

هذا عن مسرات الأفلاطونية، أما عن الجانب الجاد أو النظرية فماذا يبقى من آثار أفلاطون مفيداً، فكراً أو أخلاقياً لعالم اليوم؟

هاهنا مسألة لا تستطيع الأسطيقا وحدها أن تجيب عليها رغم أن أفلاطون علمنا أن الجمال والحق والخير كلها ليست سوى واحد. وبم يمكننا الاحتفاظ من هذا المنظر البالغ الخصوبة الذي كان يعتقد أن بإمكانه إخضاع كل المواد المعرفية للتدليل الرياضي؟



بقي من آثار أفلاطون لذة القراءة أولا

لقد أقام أنظمة نظرية لكل المعقولات كالعلم والحكمة والفضيلة والسياسة والنفس والرزيلة ونشوء الكون والمنطق والتربية وعالم الظواهر والعالم الذي أسماه: "ما فوق الحس" أي الذي يتجاوز الإدراك الحسي وختاماً فإن أفلاطون - مثل كل المنظرين - أميل إلى تبرير أفكاره منه إلى مناقضتها. ورغم أن "نيتشه" (8) لم ينج من مناقضة نفسه هو الآخر فإنه يتهم أفلاطون واصفاً إياه بأنه لو كان له أن يوجد في عالم اليوم (عصر نيتشه) لما ظهر بوجه فيلسوف ولكن بوجه المتدين المتعصب الذي ترعجه الرياضيات. ولاشك أن أقل الأفكار الإقلاطونية قابلية للعصرنة هي الميتافيزيا رغم أن هذا المصطلح لا يناسبه لأنه وضع لاحقاً من طرف أرسططاليس (9)، فأبعد أفكاره عن فكرنا المعاصر نظريته عن الأفكار والأشكال التي هي نماذج مطلقة ثابتة مستقرة في عالم موصوف بالمعقولية في مناقضة لعالم محسوس

متغير هو عالم الظواهر الذي نعيش فيه.



لقد كان أفلاطون مهوسا بالتناقض بين هذا العالم الحسي السائر بإطراد في طريق الفساد (10) وبين عالم ما وراء الحس حيث يوجد الحسن لذاته والخير لذاته وتوجد صورة الأشياء مجردة لذاتها كصورة السرير أو صورة المركب، ومن هنا جاءت إدانة أفلاطون للفن وهو أمر غريب بالنسبة إلى كاتب سما بفنه إلى اسمى الدرجات، ذلك أنه يعتبر أن الرسام الذي يرسم سريرا يفتَرِف كذبة مزدوجة، فالسرير الواقعي الذي ندركه بحواسنا هو نفسه نسخة زائفة عن السرير المجرد الموجود في عالم ما وراء الحس - والسرير المرسوم على اللوحة هو نسخة عن النسخة.

إن الفلسفة عند أفلاطون تتمثل في الترقى بواسطة الجدلية (التي هي في ذات الوقت مصعدة ومععمة من الرياضيات) من حركية الظواهر إلى ثبات الأفكار. هذه النظرية لم تقبل من أي من أتباع أفلاطون بدءا بالمعهم: أرسططاليس. بل الأغرب أنه وقع تجاهلها من طرف من عقبه من المنتخبين على رأس الأكاديمية، أن مدرسة الفلسفة التي أنشأها، ويبدو أن أفلاطون نفسه قد وعى في محاورات "البارمنيد" (11) بالصعوبات غير

الممكن تجاوزها، والتي يطرحها تفسير العلاقة بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات.

منجزات الأفلاطونية

نتساءل -بدون محاولة التمييز بين ما يعود إلى أفلاطون وما يرجع إلى سقراط أو إلى الفكر الإغريقي عموماً في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد - : ماهي منجزات الأفلاطونية التي لا تكفي بكونها مافتتت محتفظة بصلوحيتها، بل هي تشهد أو تستحق اهتماماً وتطبيقاً في عصرنا الراهن؟
يمكن إرجاع هذه المنجزات إلى ثلاثة عناوين رئيسية:

-أولاً: فن المجادلة أو طرق مجابهة الأفكار.

-ثانياً: الإجابة عن سؤال الموجد: كيف أعيش؟ وفيه تتمثل الحكمة؟ وما السعادة من وجهة نظر فردية علمانية مستقلة عن النجاة المحتملة بواسطة العقيدة الدينية؟

-ثالثاً: الاعتقاد الراسخ في أن الفرد لن يعرف الحكمة السعيدة إلا في مدينة ذات مؤسسات، مما يقود إلى التأمل في السياسة وفي علاقاتها بالأخلاق والحريات الفردية.

إن المحاورات السقراطية لمن أعظم الإبداعات الذهنية للحضارة الغربية لكننا نتناسى ذلك بشكل دوري. وفي الوقت الذي نمارس فيه عادة المحاوره نفهم الحوار على انه مونولوجات متوازية (كل يخاطب ذاته)، تتمطط رتابتها الغيبية بين الصمم وتثاؤب المعتاد. وفي عرف سقراط: كل محاوره هي مجابهة لا مهادنة وإلا فلا مبرر لوجودها "ومعلم التفكير" (12) لا يفكر لكنه يسائل، وفي عديد النصوص لا يصوغ سقراط أطروحات شخصية لكنه يدحض أو على الأحرى يذهب بمحاوره إلى دحض آرائه الشخصية فيحمله على تسليط الضوء على هشاشة وضعه وتناقضاته وعلى استخلاص من

آرائه الشخصية مابه يدحض هذه الآراء ذاتها، إنها طريقة "الإيلنكوس" (التهكم). هذه اللعبة البارعة من الإستجابات والإجابات لا بديل لها، ذلك أن المحاوره الحقيقيه لا تتمثل في تناظر رأيين اعتباطيين ولكن في إخضاع كل منهما إلى الإختبار على ضوء أسئلة الخصم، إن هذه الطريقة تمرن على الانخراط في الحياة الفكرية وتدريب على التحلي بالأخلاق الحميدة وبالحكمة، ذلك أنه، في عرف الإغريقي، في المرحلة الموالية انطلاقاً من سقراط، ستصبح الحكمة محايثة للمعرفة، وعلى الخصوص، معرفة الذات وسوف يكون الشاعر مونثاني (13) العازف المنفرد الذي سوف يعزف بمهارة لا مثيل لها هذه الانشودة، أنشودة استبطان الذات المنفتحة على العالم. وبما أن الحكمة لا انفصال لها عن المعرفة فلا إمكان لها أن توجد بدون الفضيلة، لا بمفهوم الطهارة المبتذل لكن بمعنى احترام العدل، وكل محاوره قورقياس مخصصة لدحض الفكرة القائلة بأن السعادة هي امتلاك القوة، وأن العدالة هي قانون الأقوى ويرد سقراط على "كاليكلاس" الذي يدافع عن فكرة أن القانون هو مجرد مظهر للقوة بقولته الشهيرة "أفضل أن أتلقى الظلم على أن أكون ظالماً".

بهذه الوسيلة يقود التأمل في الحكمة المتعلقة بالفرد إلى التفكير السوي في الحكومة الجيدة المقابلة للحكومة الجائرة الشريرة. إن الإغريق - في معرض التصرف في أحوال الإنسان - ابتدعوا من ناحية، العلوم السياسية، ومن ناحية أخرى وضعوا لأول مرة سيرورة الحياة خارج السياق الديني دون نفي هذا السياق، كما برهنوا على أن المسألتين (14) لا يمكنهما الانفصال مطلقاً وليس لإحدهما أن تنفي الأخرى نفيًا تاماً كما هو الشأن في الانظمة الكليانية التي تصادر الحرية الفردية، وليس لأحدهما أيضاً أن توجد في معزل عن الأخرى، وفي هذين الميدانين المتباينين المترابطين في آن

يكون حكم المدينة لنفسها - كما حكم الأشخاص لسلوكهم- مسبوقا بمعرفة العدل والحق.

إن السياسة تمثل امتدادا للأخلاق وعليها أن تركز على المعرفة، ونحن نلاحظ بكثير من الإهتمام أن الصينيين قد سبقوا أفلاطون بقرن ونصف حيث أن كنفوثيوس (15) قد وضع ذات المبادئ السياسية، ولاشك أن نظرية الطبيب الفيلسوف عدو كانط (16) اللدود: " برنارد دي مندفيل" (17) القائلة بأن رذائل الفرد تؤسس الفضائل العامة تكون مثارا للسخرية لو وجدت في عصر سقراط، حيث أنه -مثل أرسططاليس- يعتقد العكس: الفضائل الفردية هي التي تؤسس فضائل الجماهير، وأن المعارف الدقيقة هي التي تؤسس الحكومة الصالحة.

لقد أبدع الإغريق الديمقراطية، لكنهم في الآن نفسه كانوا شديدي الإرتياب بها، لقد كانت في نظرهم أفضل أنظمة الحكم لكنها أيسر السبل إلى الديماغوجية والفوضى والطغيان الأعمى للجماهير وإلى ما ندعوه اليوم بالتسيب وغياب السلطة، ففي إعتبار متقنين إغريق يبدو الحكم بإعدام سقراط سنة 399 ق م من طرف محكمة شعبية متكونة من خمسمائة ومواطن واحد دليلا على أن الديمقراطية يمكن أن تغدو حمقاء ومجرمة ولهذا نجد في كتاب « الجمهورية » حلم أفلاطون الطوباوي بإخضاع المدينة للدكتاتورية المستتيرة للفلاسفة دون غيرهم، وفي هذه النقطة بالذات يتمرّد أرسطو على معلمه حيث يؤكد أن لا وجود لعدالة في غياب الحرية، لكن سقراط وأفلاطون ومفكرين إغريق آخرين يؤكدون بدورهم، أن لا حرية بدون عدالة وأن الديمقراطية يمكن أن تنتهك لا من طرف الحكام الجبابة فحسب ولكن من طرف الشعب أيضا./.

ملاحظة:

لا نجد في المقالة إشارات رقمية تشير إلى مواقع محددة من المصادر المذكورة لاحقاً. فنوردها كما وردت ونردفها بإشارات مرقمة خاصة بالترجمة العربية.

* "المعرفة الإغريقية" معجم نقدي بإشراف جاك برونشويغ وجفري لويـد. فلا ماريون 1966 .

* عن كنفوشيوس : ينظر: "مختارات من كونفو شيوس" (بالإنجليزية) ترجمة وتعليق سيمون ليس - نيويورك - لندن: نشر نورطون 1997.

* مسائل الديمقراطية الإغريقية لجاكلين دي روميلي. نشر هارماتون وأغور 1975 .

* تاريخ الفكر، فلسفات وفلاسفة ج 1 - للوسيان جارفانيون - كتاب الجيب، قسم المراجع 1989.

* أفلاطون والأكاديمية لجون برون سلسلة "ماذا أعرف؟" 1996.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>
* في سبيل معرفة أفلاطون لسيمون مانون - بورداس 1993.

* تاريخ الفلسفة الغربية لجون فرنسوا ريفيل - نيل 1995.

إحالات الترجمة العربية:

_(1) - القو رجياس : إحدى محاورات أفلاطون جادل بها السفسطائي « قورجياس » الذي كان مدرسا للبلاغة باثينا- وفي هذه المحاورة نقض أفلاطون بلاغة السفسطائيين وعارضها بخطاب الحقيقة الدافع بالبشرية إلى الخير والعدل، كما دحض فيها قانون « كاليكلاس » الذي دعا قبل ينتشه إلى القانون الطبيعي القاضي بالبقاء للأفضل والأقوى فدعا للدفاع عن المستضعفين.

-(2)- محاورة أفلاطونية موضوعها فن الخطابة وتتناول مواضيع المآذب

ومناقشاتها حول الحب والجمال وغايتها دحض مغالطات المفسطانيين.
-(3) - لورنتسو دي ميديتشي (1449-1492) أحد أمراء فلورنسا كان شاعرا موهوبا فأهمل السياسة والإقتصاد وأهتم بالشعر، ترك قصائد شهيرة يتغنى فيها بالنور والجمال والحب، متأثرا بمبادئ الأفلاطونية الجديدة.

-(4) - سيسرون: سياسي وخطيب لاتيني، (43 - 106م)
-(5) - بروتاقوراس: سفسطاني إغريقي (485 - 411) ق م، اشتهر بنظريته المذكورة، وقد خصص له أفلاطون محاضرة باسمه عارض فيها فكرة أن الإنسان هو مقياس كل الأشياء.

-(6) - ألسيبيا (بالإغريقية ألكيبياديس) (450-404) ق م، قائد عسكري ورجل سياسة أثيني، كان من تلامذة سقراط اللامعين.

-(7) - ثوسديد: (حوالي 460-395) ق م : مؤرخ إغريقي، كان تلميذا للسفسطاني قورجياس.
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

-(8) - نيتشه (فريدريك) (1844-1900) الفيلسوف الألماني الشهير صاحب "هكذا تكلم زرادشت" كان من ألد اعداء الأفلاطونية.

-(9) - أرسططاليس (أرسطو) (384-322) ق م من تلامذة أفلاطون لازم أكاديمته نحو 20 سنة، وبعد موت الأستاذ ضرب في الأرض وبقي ثلاث سنوات مؤدبا للأسكندر الأكبر المقدوني، ثم عاد إلى أثينا وأنشأ مدرسة في ملعب رياضي يسمى ليسيوم ومنه (اليسي).

-(10) - فساد: تغير الصورة حتى زوالها ومآلها إلى العدم بعد الوجود (انظر التعريفات للجرجاني)

-(11) - البارمنيد: محاوراة أفلاطونية فيها جدل بين سقراط وبارمنيد وزينون الإيلي حول نظرية الواحد والمتعدد.

(12) - علامة التخصيص من وضع المؤلف.

(13) - مونتاني (ميثال إيكيم دي ...) (1533-1592) شاعر فرنسي.

(14) - المقصود "بالمسائلتين" التصور الديني والتصور العلماني لسياسة المدينة.

(15) - كنغوثيوس: (479-551) ق م، وهذه التسمية مأخوذة عن التحريف اللاتيني للإسم الأصلي: وهو كونغ فوتسو، مما يدل على مورد معرفتنا به. فيلسوف صيني، معلم للحكمة، يبدو أنه أول من وضع تصورا للإنسان الفاضل والمجتمع المنسجم حيث يقع احترام كل فرد لموقعه ولمواقع الآخرين ضمن تركيبة اجتماعية منظمة ومتفاضلة، كما يبدو أن هناك صدى لأفكاره في كتابات ابن المقفع خاصة الأدب الكبير والأدب الصغير ورسالة الصحابة، وهو افتراض يحتاج إلى برهنة انظر: جون كولر : الفكر الشرقي القديم: ترجمة كامل يوسف حسين سلسلة عالم المعرفة ع 199 - الكويت 1995. <http://Archivebeta.S1775>

(16) - كانط (إيما نويل) (1724-1804) فيلسوف بروسي من أصل أسكتلندي أشهر مؤلفاته « نقد العقل المحض » (ظهر سنة 1781) وميتافيزيقا الأخلاق 1797 ...

(17) - برنارد دي مندفيل (1670-1733).

دور الثقافة في استراتيجية التنمية الشاملة

بقلم : عبد المجيد البراهمي

ليس من البدعة أن نطرح مزيدا من الأسئلة حول الثقافة في استراتيجية التنمية الشاملة فهي محرار لمعرفة مدى تقدم كل أمة في وعي عقلها وسلوكها الحضاري وف هذا المضمار تنتزل اجتهادات كل من محمد عابد الجابري والطيب تيزيني ومحمد أركون وبرهان غليون وعبدالله العروي وهشام جعيط ومحمد الطالبي وغيرهم كثر اذ نجد في كتاباتهم استصراخ للضمير الجمعي لهذه الأمة علة يعي بأهمية الدور الذي يجب أن تقوم به في معركة الحضارة وفي تقدم الفكر الانساني.

وليس من سبيل المفارقة حين أقول بأن الشعب التونسي في هذه السنوات الأخيرة استطاع أن يخطو خطوة عملاقة في سبيل هذا التحدي بعيدا عن الديماغوجية يبقى من المؤسف حين ننظر خارج حدود بلادنا فنرى حال الوطن العربي ما يزال على ما هو عليه ولم يستفد كما يجب أن تكون الاستفادة مما توفر له من طاقات بشرية وخيرات طبيعية جمّة .

لا شك أن وراء ترسيم الخارطة الاقتصادية للنظام العالمي الجديد هناك استراتيجية ثقافية مساندة لإنجاح سياسة تتمثل في ما دعا إليه «> فوكوياما >» في كتابه «> نهاية التاريخ نهاية البشر >» لقد اعتمدت أوروبا وأمريكا في السابق سياسة الغزو الثقافي بمواجهة الأفكار والمعتقدات والأخلاق والنظم والقوانين التي عليها العالم الثالث والذي من ضمنه سائر الدول العربية والاسلامية ولعل العرب أدركوا أهمية خطورة هذه المسألة منذ نصف قرن فعملوا على مواجهة هذا الغزو بالمشاقفة حتى لا تقتلع من جذورنا وإنما نهتدي إلى كل إضافة قدمتها

الثقافة الغربية للرنسانية وقد نجح العرب لحدّ الآن في استغلال محيط ذلك التداخل بين سائر الثقافات وثقافتهم بالكتابة الأدبية ووضعوا أحداثا ثقافية متواترة في سائر الأقطار العربية في الأدب والبحث العلمي والفكر والفلسفة وجندوا الدوريات الثقافية لتكون خيط تواصل بينها وبين المواطن العربي فكانت مجلة << الهلال >> << الرسالة >> و << الفكر العربي >> و << دراسات عربية >> و << الوحدة >> و << كتابات معاصرة >> و << فصول >> وغيرها دفاعا عن الهوية والقومية . فالثقافة العربية اليوم أصبحت تواجه نفسها وتتنظر في مدى تقدمها وتخلّفها وجعلت من تعلم اللغات الأجنبية ومن الترجمة أداة لمواكبة الحركة الثقافية عالميا وإنّ نجاح هذه الحطة هو الذي جعل امكانية الغزو الثقافي لا تأخذ نسقا سريعا ومؤثرا .

فانخراط العرب في أخطبوط النظام العالمي الجديد سوف لا يكون حينئذ إلا بمداخلة تلامس الجانب الاقتصادي بداية من إنخراطهم في اتفاقية الجات فما هي حينئذ قدرات العرب في مواجهة الغزو الاقتصادي ؟ لو تمّ وضع سوق عربية مشتركة تعتمد انتاج المواد الأولية من النفط والفسفاط والغاز الطبيعي والذهب والمنتجات الفلاحية لكانت المواجهة على أسس منظمة أي أن هناك قطب عربي موحد وفاعل من جهة وسائر الأقطاب الاقتصادية من جهة أخرى ، لكن لحدّ الآن نحن في حالة شتات ومسألة التأهيل الاقتصادي هذه الخطوة الجريئة التي أقدمت عليها تونس تأخذ حيزا زمنيا لا يقل عن ربع قرن من الكد والجهد ، فكيف هو الحال إذن لدى سائر الأقطار العربية الأخرى ؟ أقطار لا تزال الصراعات السياسية والمذهبية تمزّق كيانها في وقت هي في أشدّ الحاجة لإن تكون متحدة ، متآزرة متآلفة . كيف العمل وهي تواجه في عقر دارها أتقن الصناعات وأرقاها تكنولوجيا وأحسنها وظيفة وجودة ؟

إنّ مركات الثقافة تختلف في مضامينها الفكرية من مجتمع لآخر ويفترض أن تكون التربية والتعليم العاملان الأساسيان لتعريف النشئ بكل ما يربطهم بالتراث

وبجذوره التاريخية ومستلزمات التطور والتنمية ، غير أن هناك فكرة جديدة تقول بأن العالم يتغير نحو الديمقراطية الليبرالية وأحداث أسواق مشتركة في مساحات حرة اقليمية تكون الرابطة بينها اتفاقية "الجات" وهو ما سوف ينمي الجانب الاقتصادي والاستهلاكي في حياة الانسان الذي سبحث عن الجودة والجودة والفاعلية فيما يستهلك لا غير وكذهنية أيضا سوف ترسخ في أفكار الناس قيما مادية جديدة لها ثقافة دعائية في حد ذاتها ستصب حتما فيما يخدم المصلحة المادية والجانب الاقتصادي للدول المنضوية تحت الكتل الاقتصادية القوية ، لقد أصبح كل مذهب فلسفي أو مادي أو إيديولوجي كان سابقا يحدد وينوع آليات التفكير الانساني وأنماط المعرفة مرفوضا من ثيل المخططين للنظام العالمي الجديد فحتى الثقافة الغربية محكوم عليها . وهذا من وجهة نظرهم . بأن تراجع رؤاها حتى تطوع في خدمته ، وفي واقع الأمر ستبقى الثقافة تولد أفكارا تساهم في تنمية شأن المعرفة بالعلم والتاريخ والانسان والعلاقة بينه وبين الجماعات وسيبقى لها كذلك دور أساسي في التوعية الحق في عملية الوعي بالذات وتجدد نفس انبعاثها وتعتبر عن آراء نقدية متنوعة ومفيدة .

فالمجتمع القوي الأمن ليس مجتمع التكنولوجيا والعلوم الطبيعية والذي يمتلك الأسلحة النووية فحسب وإنما كذلك مجتمع الثقافة والديمقراطية والسلم الاجتماعية .

فالثقافة تعرفنا بقيمة العدالة التي توطد نظاما موضوعيا بين الناس وبقيمة المسؤولية الاخلاقية وبقيمة العمل . وأخيرا وليس آخرا بعنصر الحرية في حياة مشتركة بين الناس والثقافة وحدها أيضا هي التي تجعل الانسان في أي مجتمع كان يعي بضرورة قيامه بدوره في خدمة التنمية الشاملة ففي مرحلة أولى تحرره من الجهل والأمية والتواكل والعوز وفي مرحلة ثانية تدفعه إلى الانخراط في العمل الاجتماعي والثقافي والاقتصادي .

أما في مرحلة ثالثة تضع بين يديه فكريا نقديا مبينا يطور فهمه لمحيطه الاجتماعي وهذا وحده كفيلا بأن يخلق فيه رغبة جامحة لتفجير طاقاته الابداعية .

التراث والحداثة :

بين الرافد والوافد

بقلم: تميم جلال

إن الممارسة التاريخية للفكر العربي الإسلامي والتي إنتعشت في دائرة النصّ (الوحي) أفرزت زخما وتراكما من الإنتاج المعرفي شكلٌ نسبي ما نسميه « التراث » فما هو التراث ؟ ..

قال ابن الأعرابي : « الورثُ والورثُ ... والإراث والوراث والإراث والتراث واحد ... والتراث أصلُ الشأ فيه واو - قال ابن منظور في لسان العرب : هو ما يخلفه الرجل لورثته .. وأورثته الشيء : أعقبه أيّاه ... وأورثته ولده : لم يدخل أحدا معه في ميراثه ... وتوارثناه : ورثه بعضنا عن بعضنا قديما » (1) .

أما فهمنا التاريخي الإصطلاحي للتراث فيعبرك من خلال مضمونه : « التراث » « كسنة الآباء .. كأخلاق وتقاليد تؤمن بها الجماعة كالعلوم والمعارف المكشوفة والمضمونة في تطورها بواسطة الوحي - التراث : كمجموعة أدبيّة فكرية علميّة مكتوبة خاصّة بالطبقات المدينية العالمة تختلف عن التراث الشعبيّ الشفوي » . التراث كإطار من أحكام وشرائع استنبطها الأئمة المجتهدون ويخضع لها جميع المكلفين .. التراث كمعلومات عملية تجريبية شعبية يتوارثها الأفراد في ممارسة الحرف والأعمال اليدويّة .. ثم هو التراث كتصورات للماضي مبررة لما تحلم به الجماهير لحاضرها ومستقبلها .. » (2) .

هذا ويظل لكل جماعة تراث قديم ثري أو حديث بسيط يعتمد عليه النظام السياسي والأخلاقي والثقافي ... وقد اكتسب التراث أهمية خاصة في الفكر العربي الإسلامي من خلال تداعي عمليات الإختراق لكيان ذاتنا الحضارية عن

طريق الإستعمار والغزو الفكري الغربي وذلك بعد « البقطة » من صدمة التماس مع مقولات: المعاصرة . والحداثة وإدراك حاجة الأمة العربية الإسلامية للمسانعة والنهضة والتلازم أو مغالبة ذلك الآخر من يقف على أرضية حضارية وفكرية مخالفة أو مناقضة ...

... ولقد كانت بدايات التشكل للتراث منذ عصر التدوين من خلال الفكر المنتج له فقد تعددت واتسعت أفاق الفكر العربي بفضل القرآن وانتشار الإسلام في مجتمعات عديدة ولقد خلف الفكر العربي المستعمل للغة العربية والمعتمد على التعاليم الإسلامية أثارا بديعة وعلوما جديدة ونظما قوية في المدة الموصوفة بالعصر الذهبي أو العهد الكلاسيكي ... وهي المدة التي ينحصر فيها « التراث » على المعنى السائد في الفكر العربي الإسلامي المتصدي لفكر الآخر ... ولا ينحصر التراث في مضمونه على الثقافة العالمية المدونة سواء المعتمدة على مبادئ الإسلام أو التراث العلمي المنتشر قبل الإسلام في الأمصار القديمة كالرها ودمشق والإسكندرية وجنديسابور وقرطاج ... وإنما يشمل سياجه . التراث الثقافي الشعبي المتشابه ... باعتبارهما رغم كل أشكال الإنشغال أو التبرير أو السخ أو التوظيف أو التجاوز يشكلان غطاء متكامل هو الذي يسهم في باب الوعي التاريخي في تشكيل هويتنا العربية الإسلامية ... فالأنثروبولوجيا تقول بأن الإنسان وليد التاريخ ... والتراث هو إفراز تاريخي جامع بين الثابت والمتحول بين المقدس وللمقدس ... وبالتالي فنحن خرجنا من حبة التراث وانبجس عرفنا من سديمه وثرناه ... ويمثل للتراث بذلك النهر الذي يجمع في مجراه كل الروافد والسيول لتنصهر وتذوي في طميه ويصبح المجرى واحد بصرف النظر عن مذاق مائه أو مدى نقاء فيضه أو غزارته ومدى صلوحيته للرّي أو الإرتواء ...! ويظل تراثنا العربي الإسلامي في خلفيته وعينا الحضاري هو صبغة الله : « ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » .. (3) . وأمام شرعية هذا الحضور التراثي في حضورنا التاريخي باعتبار التراث مصباً في رافد إخصاب الخطّ التوحيدي فإن حتمية التاريخ تقتضي الفاعلية والحيوية والوعي بالراهن بعيدا عن كل مراوحة بين السقوط في الماضي السحيق أو التماهي معه أو في المقابل القفز في أتون وهم المجهول أبعد من مواقع أقدامنا ، بل في إطار

تجاوز كلَّ غلط سكوني في واقعنا من أجل التَّواصل مع الآخر لتحقيق فعالية مجالنا الحبيوي في شتَّى مجالات الحياة حتَّى لا نظلَّ في الهامش نقتات ممَّا يلفظه نهر الحضارة الإنسانية .. من هنا تقفز إلى سطح الرُّكْن مقولةُ الحادثة أو فتنة الحادثة كما سَمَّاها البعض .. « فالحادثة تفترض أنَّ الذات التَّراثية تخفي خطر الخصوصية المبعدة عن الحضارة والمبررة للحفاظ على التَّقاليد ، فالحادثة ليست مشروعاً تاريخياً اجتماعياً كالنَّهضة وإنَّما هي سياسة وممارسة يومية ، هي تغيير في كلِّ الإتجاهات لبنى الواقع والفكر العربيين ، إنَّها إندراج دون أوهام في « العالمية والحضارة المادية » (4) .. وهي بتعبير أكثر تماساً مع الواقع : هي الإنخراط الوجودي في الأنموذج الرُّكْن : الرُّكْن كوعي بالزَّمن .. والرُّكْن كوعي بتقدُّم الآخر ، والرُّكْن كوعي بالمرجعيات التي صارت محلَّ إجماع أو « إكراه » ، مقولات : الديمقراطيَّة . والمجتمع المدني ، والتَّشافف .. والعولة ... وحقوق الإنسان .. تلك هي بعض إفراتات منظومة الحادثة وهي في حركيتها : « الإطاحة بالتَّقليد » في مظهره السُّكوني الرُّكْن فقط لأنَّ الإطاحة برمَّة التَّقليد تعني بتر الذات وإلغاء الخصوصيات وحدَّ الهوية ، فهـ ليس لمفهوم الحادثة بعدَّ ذاته أيَّ محتوى حقيقي من النَّاحية المعرفية العلمية ولا يقدِّم أجوبة تلقائية على مشاكل المجتمع والأمة » (5) .. وليس غمطيَّة جاهزة للإستملاء أو التَّوريد وليس وصفة سحرية نستهلُّها ضمن مواصفات ما نستورده تجارياً ...! وإنَّما الحادثة في تعريف راند : « تمثِّل طورا لا يشبه الأطوار السابقة إنَّها شمس مظلة وبازغة معلنة عن زمن غير معهود تتعاقب فيه الحقبات التَّاريخية في شكل وثبات متتالية » (6) .. هكذا كان قد عرَّفها هيقل في كتاب « الدُّروس حول فلسفة التَّاريخ » هذا التعريف قال عنه هابرماس « إنَّه يمثِّل أوضح التَّحديدات النظرية لمفهوم الحادثة .. » وهذا التعريف يشي « بتصدُّع النَّسق وفكَّ الزَّمن الحاضر عن ماضيه حتَّى يغدو طورا يعيِّن ذاته بذاته (7) » .

وهذا لا يعني القطع مع الماضي وتدجينه أو إلغائه وتهجينه ... بل هو حرارة الشَّمْس كزخم طبيعي . وإن تناقصت أو تبدَّدت سحنة الكوكب ! .
وهذا المعنى الفلسفي أو الواقعي التَّاريخي لا يقيم حدود التَّناظر بين الحادثة

والأصالة المعبرة عن نسق التراث ... باعتبار أن « جوهر الإسلام يبقى خالدا كعقيدة التوحيد ومكارم الأخلاق وإقامة قسطاس العدل بين الناس » (8) ولا يتعارض مع الفهم المقاصدي للإسلام .. فأينما تكون المصلحة فثمَّ شرع الله .. وبطلَّ السَّؤال الجوهرى فى الخطاب العربى الإسلامى الحديث هو كيفية هضم الحداثة داخل النسق .. المطلوب هو وعى أن الحداثة من موقع الغلبة السَّياسة والشاملة والحضارية لا يمكن أن تنتشر وتعمَّم إلا .. التَّفسيخ والتَّفكيك « (9) .. والمقصود من ذلك هو ضرورة إستيعاب الحداثة وفقا لشروط وأسس البناء النسقى الإجتماعى . الحضارى للمجتمع / الأمة لتقويته ودعمه .. حتَّى تتمَّ الملائمة بين الأصالة والحداثة / بين الرأفد الحضارى (التراث) والوافد التَّارىخى (الحداثة) من أجل صون المجتمع الأهلى وعدم تدمير بنيته ونسقه الحضارى الذى يلتفَّ حوله ويؤلف وحدته ويؤمِّن تميَّزه .

وتبعاً لذلك يمكن تنزيل مقولة الحداثة فى الفكر الإسلامى ضمن دائرة الإجتهد كعملية إستفراغ تصاعدي للوسع والجهد العقليَّين من أجل نوط المستجدات بالتوافق مع التَّصور الإسلامى على قاعدة . أينما تكون المصلحة فثمَّ شرع الله . فشرعية الإسلام مناطة بالمصالح المرحلة .. غير المقيَّدة بأذن نصِّى .. وهو ما يعبرُ عنه البعض « بدائرة أو منطقة الفراغ فى الشريعة » من أجل فسح المجال لإجتهد العقل المسلم فى إستنباط ما شاء من الأحكام لكلِّ الأقضية المستجدة فى كلِّ الأحوال المتغيِّرة ... وتلك هى أستاذية العقل المناط بـ « الأثنا » فى جدله ومشاففته وتواصله مع العقل الآخر ... يقول محمد إقبال : « إنَّ العقل البشرىَّ لىبلغ كما له الأخير بأدراك الحاجة للإستغناء عن الوحي نفسه .. » .. ولما كان التراث ليس له المقدَّس كما يشير إلى ذلك المفكر العربى الإسلامى : محمد أركون . فليس هو إذن المطلق الذى يعلو على الزَّمان والمكان .. وإنَّما هو عمل وإجتهد تارىخى كان فيه . ماهو محكوم بالقراءة الأمانة ، وماهو محكوم بالصراع السَّياسى والمحاكمات الجدالية المذهبية .. وهو بالتَّالى فى حاجة للتحرير والتَّنوير فى غير تأمر أو بخس للذات ... والإستنتاج الحاصل هو أن التراث ليس هو مطلق الملام ولا هو مطلق المنافر .. والحداثة تخضع لنفس المعيار فليست هى مطلق

الملائم ولا مطلق المنافر .. وإنما تلك .. كما يقول العزّ بن عبد السّلام : « مصالح الدّنيا ومفاسدها وأسبابها معروفة بالضرّورات والتّجارب والعادات والظّنون المعيّرات .. فمن أراد أن يعرف المصالح والمفاسد راجعها ومرجوحها فليعرض ذلك على عقله .. » (10) .

إنّ الفكر العربيّ الإسلاميّ وسدنته اليوم النّاطقين الرّسميّين باسم الثّراث أيّ كانت تلويحاتهم مدعوّون اليوم بالحتميّة التّاريخيّة للمصاحكة الجداليّة مع الآخر تحت طائلة الإنكشاف التّامّ الَّذي تقتضيه فتوح الحداثة ... وهذا الإنكشاف يدعو هذا الفكر لتجديد جهازه المفاهيمي وتحتين قاعدة إنطلاقه وفرز آليّاته .. وهذا الفرز والجدل هو صميم عمليّة - التّدافع - بين قوى البناء وقوى الهدم في التّاريخ المشار إليه في القرآن الكريم : « ولو لا دفاع الله النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع ومساجد وبيع يذكر فيها اسم الله .. (الآية) » .. أيّ أنّ دفع « الأنا » بالتّجاه عمليّة التّدافع مع الوافد والآخر هو الضّامن الأنطولوجي لإخصاب وتمييز الذات والهويّة .. وهو بالتّالي دفع في المسار الصّحيح للتّاريخ ...

ونختتم بمقولة - د. علي شريعتي : « إنّ » الأنا » مطالب بالإختيار بين التّقدّم مع التّاريخ والإشراع بمساره الحتميّ في طريق قوّة المعرفة والعلم أو البقاء مع الجهل والإنتهازيّة في مواجهة التّاريخ وبالتّالي يكون مصيرنا الإنسحاق والإندثار .. » (11) .

الهوامش والمراجع :

- (1) لسان العرب . ابن منظور . ج . 6 .
- (2) الثّراث وتحديات العصر في الوطن العربي : مركز دراسات الوحدة العربيّة . (3) سورة البقرة . الآية - 138 .
- (4) إغتيال العقل : برهان غليون .
- (5) الخطاب العربيّ المعاصر : فادي إسماعيل .
- (6) الدّروس حول فلسفة التّاريخ - هيقل
- (7) مجلّة - الحياة الثقافيّة - العدد 72 - فيفري 1996 .
- (8) إمّراتنا في الشريعة والمجتمع - الطّاهر الحداد .
- (9) الخطاب العربيّ المعاصر - فادي إسماعيل .
- (10) مقاصد الشريعة الإسلاميّة : محمد الطّاهر بن عاشور .
- (11) من مقال فلسفة التّاريخ : قابيل وهابيل - د. علي شريعتي .

جماليات الكلام في : مدارسات للأستاذ : الحبيب الدريدي

بقلم : توفيق الرابحي

حين نقرأ كتاب << مدارسات >> أكتشف أن هناك أسئلة مختبئة في هذه المتون تتوجه إلى أسئلة المستقبل .. هي مغامرة الإنسان .. أبدا مغامرة العقل التونسي التي تجعله يرحل إلى الفضاء كما ترحل الكواكب . فالمغامرة الوجودية عندما تقترب بالمغامرة اللغوية تكون شرطا حتميا لميلاد المعجزة . فاللغة ينبغي أن تعادل الوجود الإنساني ، إذ تتشابك الكلمات والإشارات فتستحيل رسما يستفز ذاكرة الإنسان وهو كتاب يمسك بالخيط الخفي الواصل بمسالك الامتياز والترقي ، فهو يمهّد إلى مدارج المكاشفة والمعرّاج للإرتقاء في أحضان الروح حتى تشيع نورها وصفاً ها ووهجها على تجرّبة المجتمع وأسواره <http://Archiv>

<< لأن اقتحام أغيال العلم واعتلاء مراقبي الفهم لا يتأتيان إلا لمن انكبّ على الدرس انكبّابا انقطع إلى البحث انقطاعا وانصرف إلى العمل انصرافا ليس بعده إرتداد أو إحجام >> ص 56

إنّ ما أقدم عليه الحبيب الدريدي ، هو بحق مغامرة ذات أبعاد ثلاثة : وطنية وحضارية وجمالية شعرية . وستظلّ لغة الإسراء والمعرّاج والأنباس نبضا لا ينضب ينهمل منه الكاتب ليفكر ويتفكر فتجاوب الفكرة الفكرة من ذاكرة إلى ذاكرة ، ويحاور الكلام الكلام من نصّ إلى نصّ ، فهو كتاب صدى منه إليك :

<< إنّ الثقافة التونسية العالمية ينبغي أن تكون ثقافة مغتنية من الموروث الزاخر مسترفدة بالرّصيد الهائل مغدّرة بالعبقريّة الحاضرة الحيّة والنبوغ الراهن المؤتلق فينهض حاضرها على أساس متين من ماضيها ويستقيم يومها على عماد وثيق من أمسها ... >> ص 28

فلغة الدريدي ، لغة قوية أصيلة تكشف عن خصوصية العقل التونسي وفعالياته الحضارية والانسانية وهي تجربة عبّر عنها الدريدي بلغة تراثية ولكنها كالبلور شفافة ، يستحيل معها الاسم أسماء ، وينصرف معها المعنى إلى معنى المعنى ... هي لغة تكشف عن تجربة العقل التونسي ومدى ارتباطه بواقعه وأحلامه .. أحلام الخلاص ، أحلام الذات وهي تتكشف شعرا عطر الروح ورحيق الحياة على نحو نوراني تنبجس منه عظمة النفس التونسية وما يتبادر إلى ذهنيها من انفتاح على أفق السؤال الحضاري والعدول عن البؤس الروحي : هو عقل يعمل لاستفادة ذاته وكيونته .. عقل يشتغل لاستحداث التوازن الذاتي والاجتماعي حتى يتمكن من مساواة الآخر الثقافي والتشبع بالأبعاد الانسانية والكونية :

« ... إذ الشأن الثقافي في هذه البقاع جوهر أصيل لا عرض زائل وروح أثيل لا شغل دائل ، فيه للناس معاشهم و محياهم وبه مجراهم ومرسامهم ، إليه هفت أنفس وقلوب وبه أنيطت مهج وعقول » ص 121.

فالدريدي مرتبط بالمكان وجمالياته وخصوصيته الشرقية العربية ولكنه في نفس الوقت ينهض فليه بأقياس و منابع حضارات وثقافات الغرب فتسافر في مداها ، في عيونه . هي لغة قلقة تحمل هموما حضارية وثقافية ، لغة تكتب لغتها وتمضي . فأنت تنخرط في إبقاعها ومن خلال التورط في إبقاعها وهبتها ووقارها تكون قد شكلت لغة جديدة ، فأنتك بطريقة أو بأخرى تكون قد شكلت فكرا جديدا ورؤية جديدة للواقع والمجتمع .

وما يبهر في هذا المعجم اللغوي هو أنها لغة فرضت نسقها وسلطتها صورا وإبقاعا وأسلوبا لتؤمن قوة الرّمز والتأويل ، فهي لغة تتجاوز المألوف لتخلق نموذجية التفرد . فكتابة الدريدي كتابة تؤكد أنها تكتب والشخص الذي يكتب هو يعبر عن كلّ ما يشعر به :

« إن ما يردنا إلى الأمل الوداع ويعدل بنا إلى الطمأنينة الراضية أنك ترى أهل الشفافة اليوم في حركة دؤوبة يتدارسون الشأن الثقافي ويتدبرون مسائله ويستشرفون مستقبله ... » ص 111

هو كتاب يطرح معقولية العقل التونسي وفلسفته الاجتماعية والفكرية ، وهي

فلسفة جاءت تعبيراً عن إيمان العقل بمنجزاته وخصوصياته . فبالعقل ، والعقل وحده نستفيد من ثمرات الحياة المعاصرة التي نحياها الآن ... مدارس ، هو كتاب الانفتاح لا الانغلاق ، يدعو إلى الكشف عن أغوار الذات والتواصل العقلاني مع الآخر . فهي دعوة إلى إعادة ابتناء الشخصية التونسية ، واكتشاف الحداثة باعتبار أن الحداثة تكمن بالأساس في الانفتاح على ما هو انساني .. في احتواء الزمن .. في المغايرة !

>> فالثقافة التونسية مدعوة اليوم إلى الإضطلاع بدور خطير وهو الإضافة إلى الفكر البشري وإثراء الرصيد الثقافي الإنساني وهذا الأمر لا يحتاج إلا للثقافة الأصيلة المجادة المستنيرة بمعارف العصر والمتشبعة بروح التراث ... >> ص 119

لئن تنوعت مقالات الكتاب وتعددت فانه يربط بينها خيط خفيف ، رقيق واحد هو ميدان العقل التونسي واخراجه من زمن ظلّ حبساً له . هي لغة قادمة من الصوفية ، من الفلسفة ، من عمارة الموسيقى والشعر ، بل لعلها آتية من هذا كله هونصّ يؤسس لذواتنا ولأحلامنا فهذا الكتاب قصيدة : قصيدة تتحرك في الخيال والواقع ، هي لغة نبتكر نفوسنا فيها ، وتبتكر نفسها فيها . ففي المدارس يتكرر المعجم الصوفي وإلى جانب هذا التكرار تجتذر ظواهر بلاغية وأسلوبية لتنسج إيقاعاً غنائياً ساحراً يشدّ القارئ إلى نفسه الإنسان التونسي الذي تسكنه الروح التونسية وما تتضمنه من راحة صدر وتسامح واعتدال .. هذا الإيقاع . من سجع وجناس وتكرار . يحدث فقرات موسيقية تنساب في مقاتل الكتابة انسكاب الماء برداً وسلاماً على أنفاس النفس وآلامها وأوجاعها الماضية كاشفاً لها حجب الغيب ودهشته لتدرك زمنها ولحظتها .. هي لحظة الترقّي الحضاري والاجتماعي والاعتدال السياسي ، فالتسامح هو خصيصة الشخصية التونسية ، بل التسامح ينحت الشخصية ويدفعنا إلى التأمل في مستقبل واعد . فهو ينفي العنف ويرغب في الإنفتاح على الآخر واحترام الاختلاف ومن هنا تنشأ قيم الحرية ، ويكون الفكر ذكراً تسامحياً :

>> وشأن كلّ الأحداث العظيمة فقد أشاعت حركة التغيير في تونس قيمها العليا الجديدة فأقرّت المصالحة والتسامح والانفتاح وأصلحت ماران عليه الفساد

وحرّرت ما كبّلتها القيود والأغلال ... ص 106 .

فالحرية الحقيقية تتجسّم في الكونية الثقافية دون نقص أو انشمار عنصري .
فالتسامح هو توجه فلسفي وحضاري ونقدي للثقافة التونسية في منعطف تاريخ
حاسم يبشر بالأمل ويكثير الطموحات والتحوّلات ... فالكتاب نصّ ، والنصّ
نصوص ينبع منها حسن جمالي وفني وهذا ما أكسبه خصوصية متميّزة تجعله
منخرطاً في التجربة والممارسة ويرى الحداثة سؤالاً متجدّداً يستكشف الواقع
ويستقصيه ويبتكر طرائق للتعبير تكون في مستوى هذا التنازل الذي يساهم في
تغيير البلاد والعباد والتبشير بالثقافية والتأنس الكوني .

إنّ الحبيب الدريدي ، أنزل اللغة إلى البحث عن الكينونة في العالم المحيط به ،
في اهتماماته الوطنية وانشغالاته اليومية . وكيف هو قادر على إعادة استبطانه
في النفسبةالتونسية ، والروح التونسية . إنّ يعيد باللغة وفي اللغة إستبطانه
عندما يكون قادراً على تهشيم المصطلح وعقلنته وقراءته قراءة ترميزية واطلاق
قدرته الكامنة التي ينخرط فيها العقل وهو يحاول اكتشاف ذاته عبر ظواهر الواقع
واحتراقاته ..

مرة أخرى ، إنّ الكتاب دعوة سرّية لإحياء طقوس المشاركة مع كلّ ما يحسن
ببناء التراث ينبجس من ذاته ، ونصير الأنت الوطني والحضاري فهو ليس دعوة
إلى الأصول وإنّما يتخطى ذلك إلى المشافقة ومساءلة التراث عن فعل كينونته
ليسأل عنها ويسأئلها .

فالتنهضة والترقي الحضاري من منظور << الدريدي >> فعل يتجدّد بالفعل الذي
يخلق التراث . إنّها ليست عودة باهتة إلى الأصول والشواث ولكنها استنهاض
لكلّ تلك القوة التي خلقت الأصول نفسها ، أي تأسيس علاقة جديدة متغيّرة بين
اللغة والتراث التي بلغها المشروع الثقافي في تونس .

الهوامش :

* مدارسات : هو أحدث إسهامات الأستاذ : الحبيب الدريدي وقد صدر عن دار الاتحاد للنشر
سنة 99 وينقسم الكتاب إلى :
مقدمة . سبعة أقباس . سبع مسارج . سبع إماعات . قنديل العتمة .

سيمفونية الرماد .. تداخل

الحلم بالواقع

بقلم : جاسم عاصي
العراق

إنَّ قصّة - سيمفونية الرماد - للقاص - محمد رشيد - تتركز في شكلها الموضوعي على الانسياب الذهني . بمعنى استطلاع الذاكرة ومكوناتها ، وتداخل ذلك مع مفردات الواقع . لكن على نحو مخيلاتي أيضاً ، مؤسسا بنية نصه على غط سايكولوجي ، يخضع إلى الكشف عن طريق التصوّر والإحتمال ، مع إحالة بنية الواقع وصيرورته إلى يؤر يشيدها الخيال الذي يقترب من - الأسطورة - . أي إحالة الموضوع الذي هو تقليدي - موت الحبيبة إلى موت أسطوري - خاصة عند تثبيت المشهد المنفصل عن القصّة والمثبت في نهايتها . حيث يشكل تلخيصا وتثبيتا إلى مرجعية تأسيس نص ، تكاد تكون مستلة من الموروث أو هي مؤسّرة نسجها عقل المنتج الباطن ، اعتمدتها مخيلته وذهن القاص .

إنَّ القصّة ترتقي بأحداث الحرب وانعكاساتها إلى درجة الإدانة ، عن طريق ذكي مع إحالة كلّ ما هو حادث إلى ما هو متخيّل ، وكلّ ما هو متخيّل إلى حادث فعلا ، بمعنى عدم الابتعاد عن حركة الماضي الذي يشكله عالم الحرب . فشمة مرتكزات اعتمدتها القصّة المكثفة هذه ، ويدراسة تلك المرتكزات التي تتحوّل إلى يؤر ذات أفاق سردية ، نكتشف من خلالها جميعا لثيمات مؤطرة بالتراجيديا في يؤرة موحدة .. وهي حلم - مركبات - انكسارات - المدينة المرتقبة (مشابة وصول) سفن ورقية (حلم طفولي) - اقدام مركبات - ربطة عنق من القنب (مشقة - طائر ميت

(جسد مسجى فوق الأرض - مدمى - تقائل مع الطائر المضرع بالدماء ، هذه المرتكزات تتناوب داخل المشهد القصصي على نحو علاماتي ، يشير ويكرر الحضور ليستدل بالمعنى بواسطتها . مستخدما التماهي بين واقعية الحدث وعرضه واسطرته فواقعيته مرتبطة بشيميات وإشارات دالة على واقع حادث . باحالة المخيلة إلى شاشة للعرض تنصدر نظر الراوي كأنه ينظر ويتفحص شاشة عرض ماثلة ، لذا فإنه يحيل أداة السرد هنا إلى لقطات سينمائية فمسألة الحلم هنا يبدو مهشما في القصة ، لأنه إشارة (نادرا ما اقتنص لحظات حلمي ، وأمتطيها صوب الواقع لأعيشها لكن مأساتي هي أن مخالِب الحرب غالبا ما تطل هذه اللحظات) . وهذا كشف ابتدائي في القصة بمعنى غياب الحلم وذريات مكوناته لأنه محيط التحقيق . إذ ليس ثمة فسحة من الحلم أيضا ، لذا فالأمر يتطلب بناء صرح الخيال . التذكر . وهذا ما فعلته في نسجها باستبدال بنية الحلم إلى بنية التذكر أي إحالة الحلم من حقيقته إلى نظره المستقبلية إلى إجتراح الماضي لأنه البديل المشكل للراوي ، حيث يفصل ذكرياته . مجسدا تلك العلاقة الرومانسية الواضحة . متحديا مخالِب الحرب ثم النظر إلى الخلق عبر مفاصل القصة ونهايتها ، ليعطي مديات الصلة بين الراوي والغائبة أما المركبات فهي تنطوي على إحالة . بحيث نجد عدم ذكر حقيقة لهذه الآلة . بقدر ما تدرك من خلال ذكرها ، وموقعها ، كونها أداة قمع وسحق وانهيار .. آلة حرب أيضا (المركبات يقلقني فعلها) (أقدام المركبات مازالت تدور وتدور) (تلاشت هذه المشاهد حالما توقفت أقدام المركبات) وهنا الدلالة واضحة في تأثير هذه الآلة على البنية المتحققة والمحبطة من واقعية وحلم الراوي .

فهذه التكرارات تميل إلى جنسها وهويتها ، وتأثيرها على ذهن الراوي ، يقابلها عبارات منها انكسارات - مدينة - وهاتين المقرونتين هما دالات . الأولى على حالة مسببة تدفع للبحث عن السبب ، حيث نجد مجموع أدوات الابطاط تشكل الأسباب ، وهي إشارات كثيرة مبشوة داخل النص . أما المدينة فهي حلم آخر مخبأ داخل ذاكرة الراوي المستقبلية وليست المحققة والمحبطة . بمعنى أن الحلم بالمدينة ، مازال يريشا تشكله الطموحات ، لالسبب معين ، بقدر ما تدفعه إلى ذلك الانكسارات

المثالية لذلك فالمدينة تشكل هنا الخلاص لتأسيس صرح مغاير لما واجهه الراوي في حياته (الانكسارات المخبأة لي) ، وهناك السفن الورقية وعلاقتها بالنهر ، وهي أحلام الطفولة ، أو متحقيقات في الماضي البعيد حيث يركز عليها الراوي . وهي اشارات بديلة تجهضها اقدام المركبات ايضا ، لتحيلها إلى رماد أو جزء من السفنوية . أما ربطه العنق المصنوعة من القنب . فهي بعكس مشهد الرعب في ذاكرة الراوي ، وهي جزء من الحلم والقلق الذي تعيشه الشخصية لكنه الجزء المفزع منه . يقابله ، موت الطائر ذو الريش الملون (ربطه عنق من القنب متدلّية من الأعلى تظهر من خلال دائرة انشوطتها اشباح مخيفة تناديني) . ويربط ذلك بريش الطائر النافق الذي (اغتسلت الشاشة بالقاني من الدماء ، وتقعد لحم ذلك الطائر المسكين) يقابلها (اخفاء ريش ذلك الطائر بدأ يعاودني حتى التفت إلى عنقي دوائر الغشيان ، راحت تضيق أكثر) . تكون الصورة التي قادتها كل هذه المرتكزات هي صورة (جسد مسجى فوق الأرض تعلوها قطعة من القماش ملطخة ببقع من الدم .

ARCHIVE

وهذا استبدال لصورة الطائر في مستهل القصة إلى هذه الصورة التراجيدية ، التي شكلت كل نواة القصة سواء في البحث عن المدينة أو الطائر أو أحلام الطفولة . وهذه الاحباطات ارتبطت بسبب الاحباط وهي الحرب أن اشتغال هذا النص القصير والمكثف على محور جمع البؤر ، تستكمل مشاهدتها بالإشارات التي اعتمدت لغة مكثفة وشاعرية ، لإحالة القصة إلى لوحة مكثفة هي بديل عن شاشة بيضاء للعرض ثم هي مجموعة من الأحلام والمشاعر والأحاسيس لراو كثير القلق وشديد الحساسية ، كثير التوجس .. واقع تحت سيطرة وهيمنة أحلام اليقظة بمعنى أننا نتفاعل كمتلقين مع راو يتميز بقلق نفسي أو ارث خلفته الحرب . مخلفات . حيث كشفت من الإحباط عنده الكثير ، لذا فالتعامل معه سواء من قبل الناس أو المتلقي يفترض تلقي خاص وحذر . هذا ما فعله القاص في اقتناء مفرداته وجملته الدالة . كذلك استقرّ على عرض منسق هارموني تتداخل المشاهد فيه ، بحيث تمّ جمع كل ثيمات أو سلالمة القصة ، كي تصب في ذات العنوان . سفنوية الرماد . أي الإنطفاء ، وهي

سفنوية قصيرة العرض في مشهدها ، لكنها متشعبة الدلالة والاحالة . فالأحداث التي تداخلت في القصة هي مكشفات لأحداث كان الراوي قد مرّ بها وسببت له جروح غائرة وتذب متميزة تعامل معها ابداعيا تعاملنا حذرا ذلك منعكس من خلال اللغة أن البناء السايكولوجي في القصة يحيل الحلم ، حلم اليقظة إلى سياق حياة يحاول الراوي أن يستل ما هو مخبأ في الذاكرة ليحيله إلى مادة حية فاعلة وواقعية ومن الملاحظ أن هذا التجميع ، ليس غرضه كشف الظاهرة أو مخلفات الحرب فحسب ، بقدر ما تمّ من خلال ذلك التمهيد إلى تأسيس اسطوري واستخدام الوثيقة التي تحيل كل ركام الأحداث في نص قصير كهذا إلى إحداث جسام شاملة وبذلك يعود الراوي إلى المصدر الذي اعتمدته القصة كإشارة بثت له عنوان مشهد بمعنى توسيع دائرة المشهد القصير إلى أكبر ، وتحويله من بنية واقعية إلى بنية اسطورية ، نتمس خطواتها في القصة وتؤكد من وقعها داخل المتن في نهاية القصة .

يبدو القاص . محمد رشيد . في هذه القصة تخصيصا وفي بعض نصوصه الأخيرة إنّه يخضع تجربته القصصية إلى الإحالات ، وتكثيف العلامات ، وهذا ما نفده في قصصه . ساعة الصفر . وهي حالة تميز بها القاص ، في تكثيف الحساسية المفرطة عند ابطاله وكشف الكامن في النفس الانسانية ، وهذا تعبير لترميز القصة النفسية عنده . فالإشارات تشتغل على مجموعة احالات داخل القصة ، والتكثيف اختزال ذكي للمشاهد من أجل خلق منشئ آخر للنص هو المتلقي ..

الوردة - لا مرثيا

بقلم : عبد الفتاح بن حمودة

[نص من كتاب << حركات الوردة >>]

[معارضة لكتابة أدونيس << الوجه - لا مرثيا >>]

[إلى أدونيس عدواً جميلاً]

* (تزول الخليفة ولا يبقى إلا الوردة ، وردة الخالق) . وأوك صباحاتي أحتاج فتاة صغيرة تحضر لي قهوة ممزوجة بالزهر وتقدم لي مجد ذراعيها الكبير . هذا جنون الشاعر .

* (تولد الوردة فيسما تموت في وردة أخرى) . لتنبئ أعشاب في غرف آخرة الليل ويكون الفجر دما ، عملاً شعرياً جميلاً وذابحاً . وكتابة أهواؤها إرباك السطح وإيقاعها رجّ القراءة وكسر خطيتها أبداً .

* (يمتزج في الوردة الضوء والظل : الضوء تدرج صاعد والظل تدرج هابط) بعدها لن يحدث شيء سوى وقع رخات المطر في غرف آخرة الليل . لن يحدث شيء سوى سقوط أثمار القلب واموت الملائكة بلا هتاف

* (للوردة وردة أخرى هي الوردة .) هذا طقس الشاعر . هذا صوته الأزرق ، وهذه أجنحته : الانشغال بأكثر من كتابة ، الدخول في أكثر من علاقة عاطفية مع النساء والأشجار والرياح والانهام في تجارة الضحك والنسيان .

* (كل وردة حلم . لكن عندما تتلاقى وردتان ، يتلاقى الحلم والواقع .) يتلاقى البحر والشمس ، ينمان أعواماً من أثر اللوعة بلا معاطف وبهمسان : هنا إشراقات وأكوام واحتراق غابة .

* (تنفينا الوردة ، ولا ملجأ لنا إلا هي) ، تغار علينا من هبة الشمال ، من فتيات يتراشقن بأجسادنا ويرقصن في أصواتنا مخمورات أو مكسورات الطرف . * (كمثل طائر في شجرة طائفة ، تعيش الوردة .) تنسي في الريح أعشاشاً مليئة بالزقزقات وتسخر من يعثر عليها . كذا تكون الوردة ريحاً تضحكت ألف عام .

* (يمكن أن يكون لكل شيء ، سيرة ذاتية ، إلا الوردة . الوردة هي السيرة) .
الأعشاب تملك سيرتها بلا عناء ، وأوراق النعناع أيضا ، الشاعر سيرة خالصة فيما
هو يتفطن إلى اللاشعري .
وما لا غللكه أبدا هو سيرة أيضا .

* (تأمل عميقا في الوردة ، وسوف ترى أن تاريخ التأمل لم يبدأ بعد) . أرى
جماجم خضراء لشعراء ، أحياء ، من كثرة الموت ، وآخرين أحياء ، من كثرة الحياة ، وأرى
أيضا ، في جهاتنا الركعة ، فتيات يتعفن آخر العمور ، وأخريات يبدلن عشاقهن
مثل جوارب شقافة وعشاقهن بلور مكسور في سماء الإيقاع .

الشاعر يحيا ما لم يحدث بعد ولا يتأمل ما حدث . ولا يتحمل ما حدث أيضا .
* (الطبيعة احتفال متواصل بنفسها ولا يفتتح إلا بالوردة) . الطبيعة احتفال
متواصل يتألف من أجساد النساء العربيات المخورات بالملح . الطبيعة احتفال جيد
بأجساد السائحات حتى في المراحيض وفوق الرمال وتحت الأشجار وقرب مجاري
المياه ، الطبيعة احتفال بالأجساد الخاصة منها جسد الشاعر نفسه ، متاهته ذاتها
* (الوردة منارة الجسد) ولا أذكر جسدا آخر في خضم الليل سوى الأجساد التي
أكلت منها بنهم وتوحشت فيها فملاثنى بالرغبة والرضا . أذكر جسدي البانع آخذ
منه حرائق شتى بيدي هاتين ، بيدن تراهما في مرآة زرقاء لا غدر فيها ، في مرآة
تملؤك بخدر مسكر عال .

* (لا تشع الوردة ، هي القديمة ، إلا بنور لحظتها الحاضرة) . تشع الوردة دائما بما
يحدث فجأة للشاعر في مدن بحرية لزجة مثل أوراق زرقاء لأخطبوط طري . تشع
الوردة في نهود حارة لسائحة في الحريف الساحلي . سماء رغبتها مداعبة بشرية
على الرمل المجنون . تشع الوردة في شفاه محمرة لسائح << ألماني >> في ليل
أكتوبر البارد ، رغبته القصوى أن يتدفأ بجسد الشاعر ..
لذلك امتلني بالغبطة وكفى أينها الشعريات المانحة للرغبة .

* (تومن إلي من مكان لا أعرفه) تلك كلمات الموتى اللأمرئيين ، تأخذ فيها
الوردة شكلا فريدا أليس شبيها بالتسوك ، ليس شبيها بالسكوت المر ولا بملكون
البيت العائلي . شكل له رائحة صنوبر ، له رائحة عبق لغليون شاعر عربي يبتسم

دائما من حجر عاطفي له عضّات شتى .

* (الوردة هي أن تكسر باستمرار السلم الذي يوصلك في آن ، إلى ذروات الواقع وأغواره) الوردة أن تلحس بلسانك كلّ ما يحدثه جسدك ، أن تكشف العاديّ ، أن تدخل إلى عذراوات بلا مغنّين ، أن تغرق في اللذة بلا مصوِّرين . الوردة مثلا أن تزرع بحرا أزرق في الصّحراء .

* (الشمس وردة للطبيعة ، والنّهار وردة لليل .) معنى ذلك أنّني لن أموت ، معنى ذلك أنّني أمشي باستمرار تماما مثلما تفعل الأنثى القائظة .

* (تضعنا الوردة ، كلّما نظرنا إليها ، أمام بداية ما) تضعنا أمام موت بلا ضجيج ، أمام بنات بحرّيات يتأوّهن من أرض الرّغبة . أصواتهنّ الحزينة على أذرع العشاق وحلوقهنّ قد جفّت من النّداء . تضعنا الوردة في كلامها المخصوص المركّب مثل تلك الأسنان البيضاء .

* (ما أبهى كيميا اللّون والضّوء والخطّ : تعيد كلّ شيء إلى عناصره الأولى ومحوكه إلى وردة) ما أبهى الصوت والظلّ والخطّ ، هذه كيميا الشاعر ، احتفال الوردة فيه ، رقصها ومحوّكها المستمرّ إلى عصفير ما .

* (من الوردة يحيى الكلام ، لكنه هو نفسه لا يتكلّم إلا رمزا) الكلمات تأتي من البحر . الوردة داخل الشاعر ، الوردة تتكلّم ، تهمس ، ترى ، تسمع ، تلمس .. الوردة تفعل كلّ شيء .. حتّى النزق والقتل والخيانة .

* (الوردة فاتحة لكتاب الجسد) الوردة فاتحة لكتاب القتل . الوردة فاتحة لقتل العشاق وواد أصابعهم في النّار .

* (في الوردة تبدأ الهاوية لحظة تبدأ الذّروة) في الورد تبدأ الأقجار . الذّروة تضع دائما يدها على رأسها وتخرج . تخرج كسيرة الفؤاد ، مترهلة مثل عجوز في العشرين . الذّروة موت كهول وجدو أنفسهم في بركة .

* (الوردة لوحة تسبح خارج الإطار) لتثبت ارتفاعها هو ، لتثبت مجهولها هو هي << الأمرني الجوال >> . دعني إذن أقضم تويجاتها وأحترق كما يفعل كاهن قديم بنساء المعبد .

* (للوردة كلام لا تعرف الأذن أن تصغي إليه) للوردة مثل ما يفعله البحر :

يضع يده على قلبه ، يهدد ربحه وينام .

* (تعاشر الوردة جميع الغيوم ،

لكنها لا تتزوج إلا واحدة : غيمة الدَّمع)

تحيا الوردة جميع النجوم ،

لكنها لا تتزوج إلا واحدة : نجمة الدَّمع .

تلك أكوام بكاملها لا ترى لفرط طراوتها . لا ترى من كثرة النقصان .

* (السرُّ شجوة هي في الوردة غاية) هذا احتمال الصورة . أمّا احتمال الفعل فهو

شيء آخر حبيس الصورة ، لذلك لن أنتبه . الانتباه يجعلني أتألم لهذا السقوط .

الانتباه مرارة ، لذلك لن أنتبه .

* (الوردة مرفأ لضوء لا يسافر ، لكنه متأهب دائما للسفر) بل كانت إجهازا

في كل بيت ، إجهازا له سيقان وأذرع وله حواس مختلفة . الوردة تسيل وثمة

أصابع تلم العطر .

* (الوردة سفردائم) هنا اللذة التي ليس لها حال توصف أو تنقل

* (لا يقرأ النهار إلا في ليل الوردة) هذا ما تعلمه الأشجار الميتة من ضوء وماء

هذا ما تعلمه لنا أشجار السرِّ وأثناء انحنائها للعشاق . لذلك أمطرت آلاف

الأعوام وصار للوردة أطفال يجرون أنهارا وصورا ملونة .

* (في الوردة يتوحد الضوء والسرِّ) تتوالد أسماك الإيقاع . تتقافز الصبّاحات

في الطرق البحرية الحلوة ، واضعة أيديها على رؤوسها بينما حروفها أشبه بأمشاط

الحجارة والقش ...

هنا أذكر شيئا واحدا : الطرقات البحرية في هذه المدن الساحلية رائعة . عكس ما

يقال . : مألحة دائما ومخلوطة بلعاب التجار ! فلاذكر تاجرا مثل << رمبو >> ،

بينما كانت حبيبته رائعة إلى حدّ لا يطاق ، كانت سحر اللهب . كانت اللهب المانيّ

على شفاه لا تطاق .

* (الوردة حركة : في الضوء تتباطأ ، وفي اللون تتسارع) وهنا تحت أهدابك

أيتها الوردة ، يا ضحية نفسها حيث لم تكوني ضحية أحد . هنا ، ليس لك إبطاء

أبدا ، لك تكاثر وحافز نهري يجدد عروقك ، فاصعدي يا إيقاعات واطركي الموتى

على الأرض .

* (الجسد هبوط ، والوردة صعود) إلى الأوجال المضبنة ، إلى الندى الملبى
بنقرات أصابع الشاعر . أصابعه تدق على الأرض ثم تنام لأنها فعلت الجميل .

* (الوردة كوكب وحيد في فضاء اسمه الجسد) في فضاء اسمه حقول
المغناطيس . الوردة مرابا النسيان وهي أكواب لم تشرح . أكواب تتعالق في
ملكبة حادة ومسموعة جيداً ، برقاً أو رعداً أو صاعقة !

* لا نجيب الوردة إلا من حيث لا تنتظرها (تأتي من الجبال التي غرسناها في
الإثم ، في هذا البحر . تأتي من الشمس التي أمسكتنا بها البحر . تأتي في هذه
الصباحات التي شردتنا في شجر اللفهة المبني بأحكام .

* (في صخرة الوجود ماء هو الوردة) أشمئز منك أيتها الصخرة اللقطة .
أتقيأك أيها الوجود . أسميك أيها الماء . وأدل عليك .

* (نرسم الوردة ، فنرسم شعر المادة الأولى وطنينها الجميل : الجسد) وهم
الشاعر زف الكلمات إلى مشاها وإعطاء ، بلادي بلاغات وسواحل أخرى ..

* (الوردة نقطة المركز لدائرة الكون) حتى أنني لا أثق بما حاراً أو بارد . لا أثق
بالخواس بل بدهشتها ، بأفعالها في الحفر . أثق بالانهزام في كل شيء ،
بالخيمية بابا للكون ونوافذ للغبار القديم وكنسه أمام العتبات بمكنسة الضوء
الصلبة .

* (لا نرى في الجسم إلا الطبيعة وما وراءها) نرى الجحيم المشر أصواتا أصواتا
، ونرى الموتى يساقطون في حفر ثلج وأرواحهم تنبح ليلا نهارا .

* (الوردة ضوء يتجاوز الضوء) ضوء يتقدمنا آلاف المرات وآلاف الأعوام ، لا
يكل من حمل الموتى ومن إعطائهم فرصة للتعبير عن عواطفهم الحجرية . ضوء
يأكل كل أعشاب الليل .

* (الأهداب أجنحة تطير بها الوردة) لذلك أمزقها بجنون كبير يجعل للبحر
أسماء متعددة وللمقم رغبات بيضاء من أثر اللوعة .

* (إن كان للغموض نشيد فهو الوردة) وإن كان للوردة إيقاع فهو ذاتها ،
ريحها اللين الدافئ الخاطف .

* (الوردة رمز لأبجدية من الرموز) لا يمكن أن ترسم أو تقال .

تعاش فقط ولا تقال . الوردة موسيقات نهرية . تنقال أنا وخطفا .

* (عندما نحيط بالوردة ، نقدر أن نقول : نحيط بكل شيء .) فكوني أيتها الوردة زردا فسي الحقول . كوني أعمدة نابتة في البحر تثقب السماوات كي لا ترى أحدا . كوني قيامات قيامات . كوني أنت أيتها المشكولة من دمع وخيوط بلورية ودم .

* (الأشياء كلها تزداد وضوحا في الضوء ، إلا الوردة : كلما ازدادت تألؤا ازدادت غموضا) الأشياء قد ألتصتها الحمراء المدهشة لشهراً بضوء المقنولين أعلى الجبل ، الوردة تحمل صليبها وقضي . تحمل << كن >> على ظهرها طول العمر . تحمل << كن >> ولا تتن لأنها تحمل حياتها المتناثرة في كل مكان .

* (ينزلق الضوء على الجسم : لا يترك أثرا إلا في الوردة) لذلك يترك الندى بين الناس لجعل منهم عواصف شوق بشري ، وآثاما . لذلك أيضا كان الندى الطارئ الوحيد على الأعشاب في صباحات الشاعر .

* (الضوء في الوردة بذار ، والألوان الحقول) الضوء في عيوننا شلالات مغربية والألوان في عيوننا جميلات صغيرات يحرسن نوم الآخرين وينمن على الرمل البحري حزاني فيما هن مشقات بمدن حليبية . ينمن حزاني لأنهن يحرسن زهرات خوف الآخرين .

* (الوردة كوكب يدور حول نفسه) إذن ، موتي أيتها الأرض بماء النسيان وانزلقي أيتها الوردة على البحر . يا أجساد ويا حوافز خفيفة جدا حيث لا يرى لصهوتك أثر .

* (ليس للموت وردة) إن موت << أخيل >> كان قد ملأ << اليونان >> بألف وردة . إن انتظار البرابرة ل << طروادة >> وراء الأسوار كان قد ملأ << كافافيس >> بألف وردة أيضا . فبأية وردة ملأنا الموت ؟ آه يا كعب الوردة العالي !

* (عندما أرى شمس الوردة ، تملأ عينا بغيموها .) آه يا كعب الشمس ، يا إخراجات عالية النسج تذكي نار الوردة ألف عام لتحيا .

* (طرقتنا إلى الوردة وردة) أحيانا تكون الطرقات السكرى أهم من الوردة .

- اللاإيقاع والتوحش أئمن ، بينما تزداد الخطايا لتفخر بالجحيم عليكم .
- * (لا نرى الوردة حقاً ، إذ رأيناها في عريها الكامل : الوردة عري- غطاء) ولا شئ آخر سيحب بعدها أو ينسى ، هي عري الأحياء وغطاء الأموات .
- * (للوردة قبد لا تتحرر منه إلا بالغموض) أه ما أقسى قيود الوردة الواضحة مثل الشمس ، ما أقسى حداثات الغموض على خططي النهري المضي ، لا يؤذي فراشات الحب الزرقاء ، ما أقسى مسامير الرؤيا والغموض . لكنها الضوء ومسلات التفاح العملاقة .
- * (لا يأخذ القمر شكل الوردة إلا حين يكتمل يصبر بدرا) الوردة لا تكف عن إنارة << العالم >> ولا تنثنى عن إطعام الموتى عراءات أخرى ، تنبر حتى الأعمار والتي تمر بلا ربح .
- * (ربما لا ماء خارج النار ، تقول الوردة) هذا احتمال الشعر فيما تكون الوردة في مبادتها النهرية أشد حرقة ولذاذا .
- * (لا تمتد الطرق المشعبة الوعرة الساحرة كممثل ما تمتد بيننا وبين الوردة) والوردة في أصلها بسيطة وذابحة ، بسيطة مثل أحلام الناس فيما << يكون الناس بسطاء ، مثل أوراق المشمش والنعناع ، مثل أزهار اللوز المتهاسسة في الليلات السود .
- * (أنظر إلى الوردة : أضيع بين ما أراه ، وما أود أن أراه) أضيع في أصابعي وفي الأطفال المقتولين بقوة الأشجار . لوزات ساحلنا البيضاء وزيتوناته السمراء . أضيع في الأطفال المفتوتين برسائل الشجو وبطاقاته البريدية ...
- * (لا تعنى الوردة باللقاء ، لا تعنى بالوعد) تؤثر أن تقيم في لحظة الانتظار ، في الخوف رفيما ليس منها .
- * (ليست الوردة حيث هي ، وليست في مكان آخر) إنها حيث يد الشاعر . حيث الغابات وحيث الريح المتدثرة بالبرق .
- * (الوردة غيب يلمس ويرى ويسمع) هي أيضا في كل شئ : في مواء القطط الليلية استدعاء رانعا لبعضها البعض وفي أنات غريزية لا مرأة في الأربعين ينام في لذتها طالب جامعي آخره الليل . الوردة طالبة جامعية صغيرة تنام في عري

الأشجار مع الشاعر . الوردة الأخرى في رذاذ المساء ، على صدرها وفي حببها
الفحامي يشفاه لم تتوفّر لها من قبل .

* (وردة الإنسان صورة أخرى لوردة الكون) الكون له زجاج في أقدامه الطرية
والشاعر له أمتعة مغلقة بحروف النور أمتعة تمكّنت منها أسنان اللذة .

* (في كلّ وردة لا نهاية من الورد) لا نهاية من الميئات فيها ، ومن المياه
والإيقاعات النابتة من أثر أمطار السنوات الأولى لهجرة الكائن العجيني .

* (تصحّح الوردة أخطاء الجسم ولا شيء ، يصحّحها) لا شيء ، يؤلّف أشجارها
المفسولة بدم القطعان سوى حدّ الخنجر القديم . يصحّحها حدّ جميل اللمع .

* (تتكرّر الوردة كال موج : لا تشبه أية موجة أية موجة) سوى في الحيانة والغدر
في التزوّج باكرا قبل الأوان .

* (لا تشرح الوردة : تؤوّل) ثمّ تلمس في أماكن أثرية ، تقطع ثمّ تموت انتقاما
لنفسها .

* (الوردة هي نفسها وغيرها) يمكن الاستحمام فيها شاعرا بها وشاعرا بغيرها
في أن . أنها الوحيد يفتح على أبدها كحبّ الأطفال بلا ملل ورمي حفنات التراب
في عيون الكهنة .

* (الوردة مفرد ، ولا تجمع : كلاً ليست مفرداً ولا جمعا) الوردة امرأة تزوّجت ثمّ
امتلأت بالأطفال . الوردة فتيات مقتولات ينتظرن وراء الأبواب

* (ما لا يرى من الوردة هو حقيقة الوردة) عيونها الجميلة مثل أسئلة الخطاف أو
شجرات الدمع . شفاها القاتلة بسمّ الحبّ . خدودها المحرقة للأصابع . تكلف

نكهة العنن في خاصرتها .

* (لا تنكشف الوردة إلاّ بخلخللة سماتها : بالخلخللة ، بالأصورة ، نصل إلى
الصورة) الوردة تحيا العجيب والرقراق . تحلق رؤوس القطيع

* (الوردة تحسّو كدائم) نحو جحيمها . فردوساتها الحقيقية . ومشواها الأخير لا
مشى لها سواها .

* (لا تحضر الوردة حقاً إلاّ عندما تغيب تقاطيعها) الوردة لها جروح أيضا متى
هبت على القرءاء آهات البحر وغزلانه وحوافر جراد .

* (ليست الوردة قناعاً لأي شيء) هي قناع الغرائز والرغبات والجنون ، حبّ السّلطة ومباشرة الكؤوس المثلومة والنساء المتزوّجات وخفقنّ بالمشاعر الشابة على الدوام . ثمّ تمزيق صلصال الحروف شرّ تمزيق .

* (الجسد كونه -فضاؤه الوردية) الوردية أكوان طرية فضاؤها الجسد المتعدّد المختلف . مشغل الوردية إلقاء أثمار الجسد المتعقّنة في البحر لإطعام أسماك الضوء . الركعة وتكدس الألوان على أجنحتها وألبانها .

* (الزّمان والمكان موجة واحدة في بحر الوردية) الوردية آلاف الأمواج : الموج البرّي مثلاً ...

* (لا أوّل للوردية خارج الوردية) أوكها الماء وآخرها النار . ألوف النساء داخلها رخارجها جميلات وقبيحات . أوكها مشغولات الرّيح وآخرها مقصوصات اللذة وصدى خشخشة أوراقيهنّ .

* (ليست الوردية شكلاً : هي حركة دائمة من التشكّل) للوردية أشكال ، ولا تشكّل إلاّ بها وخلالها . عكسا وإطرادا ، عدا ، جميلا لا غير .

* (للمرئي واللامرئي في الوردية ، جسد واحد) للمرئي مبدأ واحد . لللامرئي مبادئ نهريّة ، وأضواء ، كاشفة لأشياء الليل <http://Archive>

* (الوردية متساهة : لا لقاء فنيّاً ، إلاّ في المتساهة) المتساهة حدّاث متعالية وفضفاضة بلا حساب . المتساهة حافظ فنيّ . جواد مائي ذيله مقطوع بدهشة ، وأجنحته لا ترى وحوافزه قرع الأرض بانتظام وطققة عظام الموتى وتنفس البريد بين أسنانهم البيضاء العاملة بلا كلل .

هكذا ، يعود الرّجال الطيّبون ، ذوو الأصابع المغزولة بالذهب ، بمسلّاتهم ..

الهوامش :

* لأدونيس ماوضع بين أقواس من نصّ طويل له << الوجه - مرثيا >>

* تمّ إبدال الوجه بالوردية لصيغة فنيّة . الوردية باعتبارها كتابة وأنساقا لا حدود لها

* القراءة أيضا كسرت خطيّتها في كسر نظام كتابة النصّ ، إمكانا خلق تشكّل لا نهائي .

أشجان مهربة

بقلم : لميس العتوم
الأردن

قاس مخاض الكتابة ، وأقى منه مروره على الاسماع والنواظر مرور
مساطحة .. وأقى منهما ، أن أمضي إليك عبرها موغلا في دياجير سبك الكلمة
المحكمة ، نانية بمفرداتها عن شفافية أصيلة في النفس ، سعيًا وراء جمرة الفكر
المتأمل .

مض مسيري البك ، مهربة أشجاني إليك ، مغترفة من خابية مادة ومداد
الكتابة ، نانية بها عني ، مغية وسط عالم تدور فيه الدهماء ، دوران ثيران
الساقية وفق نظام ان خالفته خلفني وراء هائمة في غياهب العدم والعيشية
ولا جدوى الكلام .

هكذا أمضي إليك في عراك مع الحياة ملء الصدر مني اصرار على تخطي
الخوف ومحاوله أملا في الوصول إلى الطمانينة .. عراك إما أن يحقق التلاقي مع
الحياة أو الافتراق عنها ، معانقة نشوة الضياع ، مستخلصة من صراعي مع الحياة
مذاق العنف بديلا عن رتابة العيش والضرر المتولد منها .

قاس إصراري للوصول إلى معنى يهني الادراك وقد وهبته الحياة لأحيا من
خلاله محققا رغبتى العارمة في الإنصياح لنداء الحلم الجميل ، صانعا منه عالمي
الجميل .

اهرب إليك أشجاني زاجرة في الصدر ضجة استحضارك عندي في سكينه تتيح
لي اكبر قدر من العفوية والانطلاق على سجيتي معبرة عما يعتمر في الصدر من
شجن موغلة في عمق ذاتي ، وعمق ذاتك ، لسبر اغوار ذاتينا ، ومعرفة النفس
باعتبارها أم الفضائل ومصدر الخير كله بالنأي عنها مسافة تكفي للنظر إليها
بحيادية ، نظرة عقلانية منطقية ، فكرية تأملية . ملء الصدر حنين لهذا العالم ،
رغبة في الاندماج فيه ، لانمو وأكبر فيه معه ، مع الآخرين وبهم ، مستخلصة
لذاتي كينونة اصوغها من الممكن المتاح وجودا تاما ، متسائلة عن ذاتي ، عنك ،

وانت بعض ذاتي ، ممتحنة صلابتها ، ومدى مذاركي الانسانية في المعرفة ، رغم ما في التساؤل من قسوة تجردني من الطمأنينة وتزرع ثقتي بأصل الأشياء .

اطرح تساؤلاتي عن الحرية ، اول وأهم عوالم الكبرياء الانساني ... إلى أي مدى يفترض أن أخرج عن المألوف السائد عند العامة والدهماء .. ؟ إلى أي مدى استطيع الايغال للوصول إلى عمق مفاهيمها ودلالاتها لأصل إلى جمرة الحقيقة .. ؟

ما يبني وبين العالم الذي احن اليه وأرغب في الإندماج فيه ومعه ، ألفة مفقودة لوعي بأمر لا أملك حق أو حرية التعبير عنها .. وأراني كلما مضيت خطوة للوصول بها غريب عنها .. غريبة عني وعن الآخرين .

انها الشقاوة في الوعي ، المراوحة القلقة ، حالة من البناء والهدم ، في آن معا . الوعي دافع ، محرك داخلي للتساؤل الثائر عن كنه الأشياء ، والاستشارة الفكرية لما هو موجود واستظهار الرموز والاشارات الكامنة فيها ، حالة بعشرة وتشظية للوجود ، لاعادة للمته .. وتنظيده وصياغته المرة تلو المرة ، بشكل ومعنى جديد .

وهو بالمقابل متعة فكرية فمارسها بحب ، لنصنع عالماً بالدهشة ، وحيوية عقلية نفعل بها وجودنا ، والآ... فأنا في اتجاه الموت سائرون .

هكذا امضي إليك ... إلى معرفة تلاحق سرايا ، للكشف عن الوجود ودلالاته التعبيرية في حالة تأمل أصيل ، فلا زال في الحياة ما يستحق ان انتضي لأجله سيف الحلم الجميل ، لأشهره في وجوه اعداء الحياة ، ذائدا عنها .. لازال فيها ما يستفزني لمقارفة خطيئة الشدو عن قصد وسبق اصرارا وترصد ، معطية مواجدي فرصة استبدال لبوسها ، وللممة غمامات الاسى ، ناثرة غماماتها في فضاء الرفض الرحب ، منحنية على البصيرة كآباتها ، للدنو من ملح غوايتك مداوية به الجراحات ... موقدة قناديل الذكري ، مستفزة خلايا الذاكرة ، مستبينة على ضوئها الخابي ما عمي والتبس علي من امور ، متسائلة عن مسببات ما يعمر الاعماق من شجن ، معلنة النفير في جمع لحظات العمر ، ماضية بها اليك ، ورسمك انعكاس ابقاع الحياة .. في مرآة الروح بكل ما في إبقاعاتها من تناعم مستحب تشف له الروح أو نشاز تفر منه مدمنة تهريب اشجاني مادة ، ومصدرا الهام للإبداع ، أيا كان لون هذا الإبداع .

"بيلو ليمبا" الكونغو الديمقراطية

حين تخطيط النساء ..

جلد أجسادها .. فساتين فرح ...

بقلم : منير بن يونس

* قبل البدء :

تقلقني كثيرا أجواء شارع باريس بين الخامسة والسابعة مساء .. فالأجواء فيه تكتسي حركية يصعب على الأقدام غرز الأجسام التي تحملها ... ولأني مكره على المرور من هذا الشارع في ذات التوقيت أحاول جاهدا عدم التوقف وأنا أعبره ... وخاصة عند مروري بدار السينما والمسرح ابن رشيق .. لكن ذات مرور وجدته بحركة لا شعورية أكيح فرامل الخطى .. لأعيددها ذراعين إلى الخلف .. الألوان ليست غريبة عني .. ومعاناة صاحبها .. لأمس قلبي ببعض زواياها ... صعدت مدارج القاعة ودخلت .. دون أن أجد وقتا للتفكير في قراءة الإعلان الخارجي حول صاحب التجربة . رغم شعوري بأنها ليست غريبة عن قلبي .. لكنني ماتعترضت يوما لأجساد تخطيط من جلودها .. كساء لعرائها .. ما تعرضت لثدي شحيح يتسوك اللبن من الحن حزين ... نساء حوكت جلودها .. فساتين فرح ؟! . إنها ملهامة المأساة !!! تلاقيح الحقيقة والخرافة .. نسيج من أساطير الأوكين .. يعيشه من كان قدره الفقر والتشرّد .. في زمن العولمة ؟! .. هي سراليّة نابغة من شوارع السيتي (الزائير) .. حقيقة شعوب ينخرها التعصّب للأعراق .. وإن كرها شاربوا غسل المرّ في كراسهم ...

لوحات تعددت زوايا مضامينها .. لكن الرسالة واحدة .. قد يتعذّر على عابري شارع باريس في عجل دون (فرامل) قراءتها .. لكننا نعبه .. ونقرأ رسائل

الخطى وإن كنّا على قلق .. فماذا إذا ما نادتنا .. خطى الألوان النّابعة ممّا خلقنا
(لون التّراب) ... ومن عمق قارة حملت أرضنا سينا اسمها (إفريقيا) .

* في البدء ...

هكذا قادتنا الخطى للمدينة الجديدة التي شبّدها الرّسّام الزّايرى "بيلو ليمبا" بدار
المسرح والسينما ابن رشيق الذي استمدّ من لون التّراب والمجد واقعيّة رسومه ومن
عبث المأساة سرياليّة تجرّيته الجديدة ... ليرسم طريقا آخر له في عالم الرّيشة
والألوان .. وبعد أن عهدناه واقعيّا شكلا ومضمونا في معارضه السّابقة وجدناه
سرياليّا في أغلب أعماله الأخيرة في مستوى الشّكل معتمدا الألوان التّرابيّة
/الإفريقيّة تارة .. واللّون الأسود في بعض اللّوحات الإنطباعيّة .

وبيلو ليمبا قادم من الكونغو الديموقراطيّة (الزاير سابقا) يدرس بمعهد الفنون
الجميلة بتونس منذ ثلاث سنوات . شارك خلالها في عديد المعارض الخاصّة
والجماعيّة . والمهرجانات التشكيليّة كما تمّ تقديم أعماله ضمن كتاب "تأمّلات في
الفنّ التشكيلي المعاصر" لصاحب هذه السّطور (من ص 67 إلى ص 70)
والملاحظة البارزة في أعمال بيلو هي التطوّر المستمرّ للتّجربة مع التّنوع في
تقنيته التشكيليّة .. كما يستعدّ في شهر جويلية لتقديم أعماله بكلّ من هولندا
وفرنسا وبلجيكا .

* قبل الخروج من مدينة ليمبا :

وأنا أغادر القاعة حلّ ركب بيلو ... ودار نقاش حول ماسبق وكتبته عنه ضمن
كتاب "تأمّلات..." وطلب منّا عدم تقديم الشّعب الزّايرى على (شاكلة) الفقر ..
وكلّ ما يمكنني أن أقوله : هو أنّني لا أكتب عن الشّعوب ... ولا أعبر عن وجهة
نظر خاصّة حول أيّ بلد .. إنّما أنا أقدم ما توحى لي به اللّوحة .. وحتىّ لا يقع
الخلط ... فالأثر الفنّي مرآة عاكسة للمجتمع .. باعتبار نازفة إحدى أركانه
.. وليس العكس . أي ليس الشّعب مرآة الفنّ . ولا أعتقد . حسب رأيي على الأقلّ
أنّ أعمالك تحاكي أصحاب الكراسي المتحركة .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakini.com>



* قبل الختام :

رسالة فيها أكثر من معنى ...

أصدرت الشاعرة والرسامة رجاء التفتوتي كتابا شاعريا تشكليا يحمل عنوان " ربيع السفر " تضمّن 280 صفحة من الحجم المتوسط وفي طباعة أنيقة جدا .. حوى مجموعة القصائد والرّسوم إلى جانب دراسات بقلم مجموعة من المواكبين لتجربة رجاء التفتوتي من صحافيين ونقاد مترجمة للفرنسية والانجليزية . وقد خصّ فخامة رئيس الجمهورية زين العابدين بن علي الرسامة الشاعرة رجاء التفتوتي إثر إطلاعه على الكتاب بالرسالة التالية :

« تلقّيتُ شاكرا هديتك اللطيفة المتعمّلة في ديوان شعري موشى برسوم فنيّة من إنتاجك وأناي إذ أقدر فيك هذه المهبة المزدوجة بين نظم الشعر والرسم التشكيلي أعرب لك عن تشجّيعي للمشاربة في هذا الإبداع وأجيبك لك التّبرّج والتّوفيق .

زين العابدين بن علي

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أن يقدم رئيس الجمهورية الدّعم المادّي والمعنوي لطاقة إبداعية شابة دليل قاطع على إيمان راسخ بأنّ الشّباب عماد الإمتياز .

إنّ تقديم مختلف التّجارب التي نمرّ عليها قد يحتاج لمجّلة خاصّة بهذا الفنّ ، وإن كنّا عبر هذا الفضاء ننادي بهذا الحلم الممكن تحقيقه لو تكاثفت الجهود بين اتّحاد الفنّانين التشكيليين ووزارة الثقافة ويمكن أن تنطلق كمجّلة موسميّة .. فما تشهده السّاحة الثقافيّة والإبداعية في بلادنا من حركة نشيطة .. إلى جانب الأرضيّة الخصبة للإبداع في ظلّ عهد آمن بقيمة المشروع الثقافي الرّيادي وجعل من تونس متنفسا لمختلف التّيارات الفنيّة لا التّونسيّة فحسب بل والعربيّة والعالميّة فهل سنرى مجّلة الفنّان التشكيلي ...؟

صباحات العشق

شعر : مختار المومني

الإهداء : إلى سيّدة الأقمار الذهبية .. إلى آمنة ..
مع كلّ الحبّ

1

صباحك سكر
أيا غيمة من العطر
على الخضراء قد أمطر
ويا حقلا من النسرين قد أزهّر

2

صباح المحبة
أيا عصفورة تشدو على فتن
فهاجني شدوها المسكر
وياكونا من الأقمار
والمرجان
والعنبر
ويا مهرة تعدو
على مرج من الشيع والزعتر

3

صباحك سكر
أيا ريحانة العمر
ويا نهرا تفجر في جذب أياامي
وغنى أحلى أنغامى

4

صباحك فل وزعتر
أيا أغلى النساء
لكل الرياح اتجاه
وأنت اتجاهي
مدى ذراعك
فكي قيودي
لأرسم حسك
بين حضور الغياب

نواة فل ..

تبرعم ..

تزهر ..

5

صباح الربيع
أيا غالية
ولكن لماذا أتيت مساء الخريف



وهذا أنا تائه في اللغات
أبحث عن جملة شردت من كتاب الأغاني
لماذا أتيت ؟ !

ووجهك هذا الطفولي يغفو على حلم
وبعض الصور

فتورق في القلب وردة الجلنار
وأنا عاشق .. غارق في بحور الغرام
وحسبك العجري حاصرني

إلام أظل أسيرا لديك
وأنا جالس في برزخ الإنتظار

أعص على شفتي

وأخبط الجراح

6

صباح المحبة

لهذا البهاء .. الجلال .. السلام

ولكنني أتلعثم حين يفاجئني بعد الظلام

وخلف تخوم المسافة

فترعش الكلمات

وتورق قبل أوان الربيع الحدائق

7

صباحك قل

وكوثر



فيا فرح العمر هلي
وياقمر البدويات إنني المتيم
ولا شي ، بيني وبين الجنون سوى نقطة الحبر
وهذي السطور
وصوت تلاشيك في داخلي
فماذا تريدني مني ؟ !
وكيف الهروب منك .. إليك ؟ !

8

صباح المحبة
أيا شهرزادي
أجي ، إليك
يحاصرني حسنك العجري
وينشر أزهاره المشتهاة
وها أنت ذي تصرفين الرياح اللواقع
وها أنذا ألم شتات الأحاسيس .. أركب صهوة حزني
وأبحر في حدقات النجوم
فالبسي ثوبك الأبيض الآن
وهيا .. فقد حان وقت السفر .

إنكسار الليل على بوابة الجلالة

شعر : بولبابة الزبيدي

الليل ، طول الليل تسهر عينه
وينام من إعيائه طول النهار ، فما يفيق ...
مضت القرون ، وذات ليل ،
لذلّ ليل الرقاد ، فتابع النوم العميق ..
... وقرّ ساعات بلا ليل ،
قرّ بلا نهار ! ..
تستكمل الأرض الرتيبة بعدها
نصف المدار ،
يستبقي الليل الكسول ،
وكانت الدنيا استعدت للشروق : << ماذا أرى ؟ ...
ما بال وجهي غير وجهي ،
شاحب القسمات ، أصفر ، لا يروق ؟
ما ذلك القرص الذي نفت الشّرار ؟
أم تلك نار ؟
هل شبّ في ثوبي حريق ؟ >> ..
الليل ساج حائر :
<< أم أنثي لست الزمان الفرد في الدنيا ،
وهذا آخر ؟
في الكون بعشرة ، ومالي أن أطيق >> ..
ومضى إلى باب الجلالة غاضبا ..
<< من أنت ؟ >> .

.. << إِنِّي اللَّيْلُ ، قافتح ..
قد تركت الكون خلفي صاحبا >> ..
يشدّ بالباب الصّرير ..
يتدفّق الماء المزجر تحت أركان السرير ..
يأتي ثمانية شذاد
يمتحون الليل إذنا بالعبور ..
.. << يا ليل ، مالك صاحبا ؟ >>
.. << عفو الجلالة ، كيف يمكنني الجسور ؟ >>
.. << ماذا إذن ،
ومسير دنيانا إلينا لم يحن ؟ >>
الليل يسقط عند أقدام الحلالة في انكسار :
.. << أستغفرك ..
هل كنت تصير لو تبدّل منظرک ؟
أم تسبق الأقدار تسأل من يراك ؟ >>
.. << يا ليل أفصح ..
ما دهاك ؟ >>
.. أ جعلت في الدنيا لليلك صاحبا ؟ >>
.. << تعني النهار ؟ >>
.. << ! ؟ >> ...
الليل يسحب ذيله المغرور مكسور الجناح ..
الآن أدرك أن نصف العمر راح ...



قَهْوَةٌ مُوَّةٌ

شعر: عمر بن عبد العزيز

الإهداء: إلى التي عادت وما عاد لها الفرح ..

عُدْتُ ..

وَمَا عُدْتُ أَهْوَى مُفَاوِزَةَ الْحُسَيْنِ .. ذَا قَدْرِي ..

عُدْتُ ..

وَمَا عَادَ نَبْضُ لِقَلْبٍ صَارَ كَالْحَجَرِ ..

عُدْتُ لِكَ طَعْمِ الرَّبِيعِ ..

وَرَائِحَةِ الْبَهَارِ .. يَا عُمْرِي ..

وَذَا شِتَائِي يَكِيلُنِي ..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لَمْ يَرْتَحِلْ بَعْدُ ..

وَيَسْلُبُ مِنْ وَجْهِي بَصْرِي ..

وَذِي أُمْنِيَابِي

دَمَرَهَا أَكْتَئَابُ الْخُرَيْفِ

فَلَمْ تَعُدْ تَقْوَى عَلَى السَّفَرِ ..

دَعْبِي الْيَوْمَ

أَلْمِمْ أَشْلَابِي .. وَانْتَظِرِي ..

أَلْمِمْهَا ذِكْرِيَانِي ..

وَأَفْتَرِشْ شَعْرَكَ الْعَجْرِي

مَثَل لَيْلِ حَوَى قَمَرِي ..
وَأَجْعَلْ مِنْهُ حُلْمًا جَمِيلًا
يَلْزِمُنِي فِي نَوْمِي وَفِي سَهْرِي ..
أَلْلِمَهَا ذِكْرِيَانِي ..
وَأَعْبَرْ بَحْرًا بَعَيْنِكَ كَانَ ..
عَلَى زَوْرَقِي مِنْ خَيَالِي ..
وَمِنْ فِكْرِي ..
وَمِنْ أُمْنِيَاتِ تَوَرَّقِي
كُلَّمَا أَحْسَسِي " الْكَابُوسَن "

فِي ثَغْرِكَ النَّضِير ..
أَلْلِمَهَا ذِكْرِيَانِي ..
وَأَصْنَعْ مِنْ قُدْرَتِكَ وَسَائِدَ عَشِيقَانِي ..
وَمَهْدًا وَثَرًا

تَبَلَّلَ بَعِيرُهُ عُمْرِي ..
وَأَكْتُبْ بِالرُّمُوشِ وَكُحْلِهَا .. آيَات ..
لَهَا يَسْجُدُ كَوَكَبُ الْمُشْتَرِي ..
وَأَجْمَعُ مِنْ بَرِيقِ الشِّفَاهِ ..
لَوْنِ الدِّمَاءِ
أَمْرُجُهُ بِالْقَرْمِزِ الْأَحْمَرِ ..
وَأَرْسُمُ بِالْمَزِيحِ
قَصَائِدِي الْفَاتِنَاتِ

وَأَجَلٌ صُورِي ..
وَيَظَلُّ عُطَارِدُ
يَسْتَهْوِيهِ جَمَاهَا
وَتَظَلُّ فِي قَبْضِي ..
نُعَانِقُ كَوَكَبِ الْقَمَرِ ..
أُنَادِيكَ .. أُنَادِيكَ ..
وَمَا أُنْتَظَرْتُ كَلِمَاتِكَ قَدَرِي ..
أُنَادِيَنِي فَأُنْتَظِرِي ..



وَحُدَيْي أَغَامِرُ
أَبْحَثُ عَنْ أُنْدَرِ الدَّرَرِ ..
أَسْتَرِقُ مِنْكَ
دِفْءَ الثَّلُوجِ وَخَرَّهَا
وَأَلْتَأَعُ فِي عَيْنَيْكَ
بِعَذْبِ النَّارِ وَالشَّرَرِ ..
هِيَ السُّفُنُ .. كَلِمَاتِي ..
أَرْهَقَتَهَا عَظُورُكَ الْمُتَفَقِّةِ ..
فِي الْبَدْرِ وَفِي الْحَضَرِ ..
فَأَرَسْتَ عَلَى الصَّدْرِ تَنْسُجُ شِعْرًا
أَرْقَى مِنْ نَسْمَةِ السَّحَرِ ..
هُوَ السُّفُنُ التَّرْجِسِيُّ

رَأَى ذَاتَهُ فِي مِرْآةٍ مِنْ حَجَرٍ ..
ثُمَّ ظَلَّ مُتَفَرِّدًا .. مُتَفَرِّدًا ..
لَنْ يَقْوَى عَلَى هَجْرِ حُلْكَةِ الْمَقْبَرِ ..
عُدْتُ ..

فَمَعِيزَةٌ إِنْ أَضَعْتُ ..

لِلْمَرَّةِ الْأَلْفِ ،

فُرْصَةِ الْعُمْرِ ..

وَمَعِيزَةٌ إِنْ سَقَيْتُكَ

فَهَوْنِي مَرَّةً

وَاحْتَفَظْتُ بِسُكْرِي ..



حمام سوست

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

جوان 99

على الهاتف

شعر : محمود جاء بالله

هتف المحبوب أمي
عاشقي اليوم أتاني
فاسمحي لي واعذريني
ولتكفني عن سؤالي

ما جددت الأمر يوما

تعلمي أنت هيامي

ولهيب الشوق عندي

إن بدا هذا طويلا

فامهليني لحظات

كيف لا حلو حديثي

وحديث العشق عذب

فانبشي ماضيك أمي

واذكري عهد التّصابي

سترين اللّوم ظلما

تقلعي عن ذا عتابي

قنّاص

شعر : رعد مطشر مسلم
العراق

* إلى موفق محمّد ..

من بابل تبدأ أكوان الدنيا .

كم أحتاج من الوقت لتنظيم حياتي ؟

كم أحتاج من الصمت لأصرخ بي :

يا رعدني وأخي في مرآة الغيمة

وفخاخي في مطري

دع عنك خيول الوهم ..

دع مشط الوقت ليمسح صلته زهوا

دعه يمشد قوس الحيرة بالنبلّة الدائرة ..

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

كن

ميلا للصّحوة

كن

صفرا في وقتي

كي تلوي سير الساعة من أوّل لحظة

من أوّل مستشفى حتّى .. آخر حفر الركن

كن ما .. تبغي

لكن

اترك لي لحظة قنّاص ..

برقب .. موتي !

بهية

بقلم أحمد بن جلون
(الرباط)

رمقها حمزة ، فافتتن بمحيائها النَّصْرَ وبعينيتها الساحرتين . سرق منها نظرة ، فكانت الشرارة التي جعلت صورتها ترسخ في مخيلته يومها ، شعر حمزة بتيار غريب انتشرت أمواجه الخفية في جسده ، واهتزت له حواسه اهتزازا . كانت بهية تتابع دراستها بالثانوية المختلطة وقد التحق هو بأحد فصولها . النهائية . كانا يلتقيان في الساحة ، فيحييها ويتحدث معها في جملة من أصدقاء المؤسسة ، ثم صار يترقب مواعيد إقبالها وإدبارها ، إلى أن نشأت بينهما ألفة . ذات يوم ، أشعرها برغبته في ربط علاقة شخصية بها ، فاقترحت عليه أن يخطبها من والديها ، لتفادي القيل والقال ، إن كان جادا في نواياه وصادقا في مقاصده . ولم تمض بضعة أسابيع حتى علم الجيران والأصدقاء ، أن بهية أصبحت خطيبة حمزة . راح كلٌّ منهما يعتزّز بالآخر ، وطفقا يعشقان أن السعادة هلت عليهما معا ، ثم راحا يخططان لمستقبلهما ، مع عزمهما الوطيد على الادلاء بدلوهما في معركة التحرير والتحرر من الاستعمار والتخلف . بعد مرور بضعة أشهر ، لاحظ حمزة أن بهية تستقبله بما لم تعودَ عليه ، فخشى أن يكون قد أساء إليها على غير وعي منه . استفسرها ، فأخبرته بأنها منشغلة بمستقبلها ، ولم تعد تنوي الاقتران به . شعر حمزة : قنّش أن الأرض تكاد تخسف به . فاستعاذ بالله . أحسنَ بعقدته في حنجرته ، وبدأت شفتاه ترتجفان ، فجلس على الأرض ، خلافا لعادته ، ثم خاطب بهية :
حرام عليك . ألم تقتنعي بعد ، بأنّي متعلّق بك ؟ هل تسعين إلى القضاء على مستقبلتي ؟ هل جنت يا بهية ؟ هل صدك عني أحد ؟
قل ما تشاء . يا حمزة . من الأفضل أن نفرّق ، إذ لا أريد أن أكون شقية معك كما لا أريد أن تكون شقيا معي .

برح حمزة بيت بهيئة وهو كسير الفؤاد ، كظيم الأسارير ، تانه البصر . كان يتمهل في المشي ، بين حشود المارة الذين تكتظ بهم الطرقات قبل غروب الشمس وطرف من الليل . شعر برأسه وكأنه محشو بالرصاص ، إذ راح سمعه ثقيلًا وادراكه متعطلا إلى حد ما .

اعتراه السقم وفقد شهية الطعام وتمرد عليه الكرى . خذلته بهية التي كان يتباهى بها ، وبغلو في ذكر مناقبها . رغم الصدمة العنيفة التي تلقاها ، بات يتعلل بالأمني ولم يصدق أن بهيئة ستبقى على رأبها الجائر . كان الأمل يغازله كلما استطاع أن ينتزع منها بعض الوقت ، في بيت والديها ، ليذكرها بالقسم الذي قطعه كل منهما على نفسه ، ويمدح احترامه لها ، محاولا اقناعها بأنها لن تعرف السعادة إلا في كنفه ، وأن لا غنى لهما من التضحيات والتنازلات المتبادلة، لحوض معركة الحياة .

بينما كان حمزة يسعى ذات مرة إلى ضمد الجروح وجبر الكسور ، راحت توهمه بتفهم ردود فعله ، وادراك مقاصده ، دون أن يظهر منها ما يجعله يميل إلى الإرتياح . وتبين له مع توالي الأيام أنها كانت تراوغ وتناور ، إلى أن جعلته مع قرب انتهاء العطلة الصيفية ، يهوي إلى الخوض من اليأس .
http://Arohive.com
لم يجد حمزة ملتحدا من البلاء الذي باغته ، فصار على غرار أهل الليل ، يسبح بعيدا عن ضوضاء المدينة وغوغائها ، في الشوارع الفسيحة وورا الأسوار ، يلفه الظلام بشوهِ القاتم ، فيرفع هامته إلى السماء ، يناجي كواكبها وسكانها ، لكن مناجاته مضت تتبخر كالأثير .

كان كذلك يحج نهارا إلى المنتزه الشاسع الأطراف ، ويتجه نحو الأشجار التي بين الآونة والأخرى يتفيا ظلالها رفقة بهيئة ، فيقدم لها شكواه ونجواه ، ويشهدها على دبعه البري ، وحزنه العميق .

لم تحد بهيئة عن غطرستها ، فاذا به يحس بنفس جعله يدرك أن سلوكه غير قويم . أخذته العزة والإباء ، ووعى أن بهيئة لا تبهر الجن والإنس ، وأنها ليست ملكة العذارى ولا سيدة نساء العالمين ، وأن الدنيا تعج بألف بهيئة وبهيئة . إلى جانب ذلك أدرك أن الشبان مثله ليسوا بضاعة بائرة ولا عملة خاسرة ، وأن بهيئة هي التي

خسرت لا محالة ، إذ نقضت عهدها وتخلّت عن الكلمة الملتزمة التي فاهت بها أمام عدلين . إنها اختارت أن تكون عصية القلب ، قاسية كالحجارة أو أشدّ قسوة . من أجل ذلك ، قبل إخلاء سبيلها والاختفاء من أفقها .

توالى الأعوام ، وبعدها مضت ثلاثون سنة ، كان حمزة يرتشف بكلّ هدوء ، فنجانا من القهوة بمشربة قاعة الإنتظار ، بمطار الدّار البيضاء ، وكان من حين لآخر ، يلقي نظرة خاطفة على عناوين جريدته المفضلة . بينما هو كذلك ، إذا بمناد يناديه باسمه .

كانت الرنة لصوت امرأة . ولما رفع هامته ليرى من الهاتف ، اندهش وارتيب . لكن سرعان ما تدارك الموقف : إنها بهيّة .

مدّت نحوه يدها اليمنى ، فتصافحا ووقفا صامتين ثوان معدودة . كانت علام التقدّم في السن جلّية على محياها ، إلّا أن عينيها لم تتغيّرا وكأنّهما منيع للسحر والشيطنة . وبسرعة البرق عادت به الذاكرة إلى عنفوان شبابه ، لكن لم يدّر ما يقول ، فبادرت هي بالكلام :

عمت صباحا يا حمزة . هل تسمح لي أن ... أتحدّث معك قليلا إذا لم يكن

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يقول الله : << وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ >> ويقول الرسول : << إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

أخوة >> . عمت صباحا يا بهيّة .

حسنا . إلى أين أنت ذاهب ؟

إلى ألمانيا . وأنت ؟

إلى باريس .

سمنطلي اذن نفس الطائرة وسنفترق في مطار أورلي .

عندها ، نودي على المسافرين أن يتقدّموا إلى باب السماء . لما استقرت الطائرة

في الأجواء العليا ، استأنفت بهيّة الحوار :

هل لا زلت تتذكرني ؟

وكيف لا ؟

قصدي هل لا تحقد عليّ ؟

. لا مكان للحقد في معاملتي مع الآخرين .
 . سامحني يا حمزة ، إنني أخطأت في حقك وجنيت عليك
 لكل واحد قدره ، ولا مفر مما قدر الله
 . أرجوك أن تصفح عني . ندمت كثيرا على تفريطي فيك . لم أكن على مستواك
 من الرشد . كنت أكثر مني تعلما وتمرسا بالحياة . أتذكر أنك تحمّلت بعض
 المسؤوليات في صباك ، فعلمتك التجارب ما لم أكن أعلم .
 . هل جهلك بأمر الحياة هو الذي دفعك إلى العيب بعواطفي ؟
 . سامحني يا حمزة (عندها ، برزت دموع استقرت على مآقيها)
 . يوم كنت استعطفك ، كنت تقابليني باللامبالاة ، أليس كذلك ؟
 . صحيح . واليوم ، أعترف لك بخطيئتي ...
 بعدما نثت هوائي ، ودفعته إلى اليأس . أليس كذلك ؟
 (اغرورقت عيناها بالدموع ، فوضعت يديها حول رأسها ، وركنت إلى الصمت
 بضعة دقائق ، وغاصت في تأملات عميقة) .
 . اسمع يا حمزة : لك الحق أن تحاسبني وتحكم علي بما تشاء .
 . لست قاضيا . ان الأيام هي التي تحاكمنا والزمان يقضي بين الناس
 . لو كنت أعرف أين توجد ، للحتت بك لأقبل يديك ولأطلب منك العفو .
 . سامحك الله يا بهية >> كل نفس بما كسبت رهينة <<
 . ليتني سمعت نصحك . ليتني اقتنعت برأيك . شتان بينك وبينه .
 . من ؟
 . الوغد الذي تزوجني
 وشرعت بهية تروي معظم مراحل حياتها الزوجية التي انتهت بالطلاق ، وقد
 دامت معاشرتها لزوجها ما يقرب من ربع قرن من الزمان ، تعرضت خلاله لمختلف
 أنواع المعاناة .
 . عندئذ ، تدخل حمزة :
 . ما حدث ، قد يعزى إلى سوء معاملتك له
 . هو الذي لم يكن في المستوى المرغوب

. الحياة الزوجية أخذ وعطاء ، صبر واحتمال
 . أعطيت كثيرا ، وأخذت قليلا ، وبلغ صبري معه حداً أدّى بي إلى المرض
 . << ما من قطّ يفرّ من دار العرس >> كما يقول المثل . إنّ لسلوك بعض الرجال
 ما يعلمه . لا تنسي أنك نذت خطيبا ، وأضعت بعلا
 . لا تكن قاسيا في حكمك علي
 . أنت التي أراك قاسية ، يا بهيّة . أنك فرطت في والد أبنائك
 . ليتك استأنفت اتصالك بي بعد الفراق
 . تظنين أنني عديم الكرامة ؟
 . لك كرامتك ، ولا شك أنك متشبت بها منذ شبابهك . إلا أنك لو حاولت أن
 تراجعني ، لقبلت العيش معك . هل تعلم أنني فقدت والديّ ، وبعض اخوتي ،
 وإنّي أعيش لوحدي ، لا أهل ولا أقارب ؟
 . إنه قدرك المحتوم ، ورحم الله أمواتنا
 . لا شك أنك تزوجت ، وفي هذه الحالة ، هل أنت سعيد ؟
 . كنت متزوّجا ، وكنت سعيدا ، ولازلت سعيدا ، وأنا أحمد الله .
 . لا أفهم . هل لست متزوّجا الآن ؟
 . إنّي أرمّل . هلكت امرأتي منذ سنوات ، ولا أفكر في الزواج . أريد أن أبقى
 وفيّاً لها كما وعدتها وهي على فراش الموت .
 . هل أنجبت إليك أطفالا ؟
 . خلّفت بنتا ، سمينها بهيّة
 . بهيّة ! ولم بهيّة ؟
 . كانت زوجتي تتفانى في حبّي وفي خدمتي ، وأرادت ألا تفصل بين مرحلتين
 هامّتين في حياتي ، فكانت << بهيّة >> همزة الوصل بينهما . سعدت بها
 وسعدت بي ، بدون رياء ولا نفاق . خضنا معركة الحياة ، بالرضى والصدر الرّحب
 النساء من صنفها قليلات جدا ، يا بهيّة !
 . أرجوك يا حمزة . سامحني إنني خادمتك ، أريد أن أكفّر عن خطيئتي . إنّي
 مسرورة بلقائك . اجعلني أشعر أنك بجانبني . آمري بما تشاء ، تجدني طائعة . ألم

يبق في قلبك شيء من الحب لي ؟

- بعد خمس وعشرون سنة ، ماذا سيبقى من لهيب تأجج في وقته ، إن لم يكن

الرماد ؟

- أرجو أن يكون رمادا ساخنا .

- أخلصت لزوجتي وهي على قيد الحياة ، وسأبقى مخلصا لها وهي تحت التراب .

أنصحك أن تهتمّي بتربية أبنائك .

- أرى فيك المثل الأعلى يا حمزة . يا ويلتي على ما فرطت فيه !

- << وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا ، أن يكون لهم الخيرة

من أمرهم >> صدق الله العظيم .

- كلامك عذب ، وعباراتك تخفف من حدة الكروب . يجدر بك أن تكون طبيبا

للنفوس والقلوب . لو كنت أعلم أين تشتغل ، لتوجهت إليك قبل أن أعرض نفسي

على طبيب نفساني .

- ماذا حدث ؟

- أصابني انهيار عصبي من جرّاء ما كابדתه من محن وشقاء . يا حمزة ، لو أنك

رفضت فسخ العقد الذي كان يربطنا ولو أكرهتني على الحياة معك ، لكان أهون

عليّ ممّا تعرّضت له مع غيرك . كنت أعيش في السراب ، ولما تجلّت الحقيقة ، وجدت

نفسي ضحية من ضحايا ... الرجال . إنني ندمت كثيرا على ما فعلت .

- ما كنت لأرضى بما تقولين ، ولم أكن لأقنع بجسمك دون فؤادك ، لأن الحب الذي

يقتصر على الجسد ، يزول بمجرد ما تذهب مغائته مهبّ الرياح .

- واخذتني يا حمزة ، على تصلبي في الرأي . وأنت ، لم لا ترحم كبدي وقد بحث

لك بأسراري واعترفت لك بذنبي ؟ هلا تقرّني منك لأنعم بعطفك وحنانك ؟ إنني

متشوقة إليك ، إلى درجة الهيام . إن كنت حقا شريت من كأس الهوى ، فلماذا

أراك مصرا على اللامبالاة نحوي ؟

- الآن وقد وعيت ما تحملته من معاناة ، وقد خلت خمس وعشرون سنة على ذلك

يطيب لي أن أراك تذوقين ما تجرّعته من قبلك .

- كنت أراك في المنام أحيانا ، وهذا دليل على أنك لم تغب عن فكري ، وكان

لقاء اليوم كان مبيتا من زمان ، على غير علم مني . ارحمني يا حمزة إني بحاجة إليك . لا تتركني فريسة الهواجس والأوهام . أليس كلاتا حرا ؟

لا أدري هل نحن أحرار أم لا . لكن تيقني أنك لست حرة ولو أنك طالق ! لك أبناء ، اهتمي بهم

وهل أضحي بحياتي الخاصة في سبيلهم ؟

نعم !

حسنا ... ألا ترى فائدة في المصاهرة بيننا ؟ أقترح عليك أن تقبل ابني الأكبر زوجا لابنتك .

أخشى أن يعذبها كما عذبتني أمه من قبل .

سأحبه على أن يكون معها لطيفا وديعا كما كان معي أبوها .

إن الله هو الذي يزوج عباده . ترين ، لم يبارك الله زواجنا .

لا تضاعف من آلامي وأحزاني يا حمزة . ألا يمكنك أن تطوي صفحة الماضي ؟

ألا يمكنك أن تنقذ مشاعري ؟ هل فقدت طبيعتك ؟

قضى الله ما قضى ، يا بهية !

ارحمني يا حمزة . <http://Archivebeta.Sakhril.com>

والله إني حائر في أمرك .

تذكر شبابنا والأيام الحلوة التي عشناها معا .

إنها لم تغرب عن بالي ، ولكن أتذكر أيضا الأيام المرة التي انتهت بها ،

بسببك .

أعرض عليك صداقتي ، فهل تقبلها ؟

يصعب علي أن أؤمن بصفاء وطهارة الصداقة بين رجل وامرأة !

ألا تؤمن بي وبالصداقة التي أعرضها عليك ؟ عفوك يا حمزة . تذكر الأشهر

العذبة التي قضيناها معا ، في ظل حب طاهر .

لا . إني لا زلت أتذكر الأيام الحلوة التي تميز بها فجر شبابي ، حيث التقينا ،

وقد كنت كزهرة ياسمين عبق ، وغدوت أنا أنتعلش بأنفاسك ، وأشعر بحبور لا

مثيل له . أتذكر كل هذا وأكثر !

.. ماذا ؟

.. أتذكر يوم كنت أستعطفك ، وأتوسل إليك تذكلاً ، وأستهويك لكي لا تعيبي
باحساساتي الفياضة نحوك . لكنك أعرضت عني متكبيرة متجبرة ، وصرفت عني
اهتمامك ، وتركتني كمثل الذي يحرق في البحر . أتذكر أنك فتكت بمشاعري ،
وقتلت فؤادي ، وحطمت آمالي وأحلامي ، وأنت لا تبالين ، وأصليتني نارا تنلظي ،
فاحترقت بها احتراقا . أتذكر أنك بتصرفك هذا ، غيرت مجرى حياتي ووجهة
مصيري ، ففاسيت كثيرا من المعاناة ، وتجرعت أكوابا وأكوابا من المرارة ، ولولا
إيماني بالله ، وبالرسالة التي كان علي أن أؤذيها نحو المجتمع ، لانتحرت . إن الله
عوضني بأفضل منك .

.. كفى يا حمزة ، إنك تفتت كبدي وتمزق قلبي .

.. كيف أنسى ؟ إنني لم أنس ولن أنسى ، يوم كنت أخلق في سماء العشق بأجنحة
يحركها حيي الأول التابع من بين ضلوعي ، والمتدفق عليك بلا قدر ، كيف أنسى
أنني كنت اصغي إلى عباراتك ، ونبضات قلبك ، فأجدها ألعانا تحرك حواسي
الباطنية ؟ كيف أنسى الماضي وهو يلاحقني ؟
.. ألم تقل أنك كنت سعيدا مع زوجتك ولا زلت سعيدا بعد وفاتها . أليس هذا
تناقضا ؟

.. لا . إن ما قاسيته من محنة معك ، ليس من الأمور التي تنسى ، ولو أن الله
عوضني بأحسن منك ، إنه لمن الصعب أن ينسى المرء . ولا سيما إذا كان مثلي .
خطواته الأولى في طريق الأشواق ومنعرجات الهوى . إن الأفئدة ليست سواسية ،
وليست على كل حال من حديد أو من حجر ، وهذه طبيعتي .
.. يا حسرتاه على ما ضاع مني !

.. كيف أنساك ، واسمك يتردد كل يوم في بيتي ؟ كيف أنساك وينتي إسمها
بهية ؟

.. إن حبك لي كان كالأسطورة وإنني على يقين بأن أوتار فؤادك لا زالت تهتز إلي ،
بعد ثلاثين سنة مرت على فراقنا .

.. الحقيقة ، أن أصداء ذلك الحب لا زالت تتردد في أعماق نفسي ، لكني لا

أستطيع أن أردَ إليها أنفاسها وحياتها . إنها جزء من الماضي الذي لا يموت . كم كنت أودّ ، قبل ثلاثين سنة من اليوم ، أن يظلّ حبّنا عيدا تزدهي به أيامنا طوال العمر . أفهمت يا بهيّة ؟

« غفرانك يا حمزة . ألم تصدّق ما رويته لك عن حياتي الزوجية ؟
« صدقتك ، وما كانت معاناتك ، وطغيان زوجك ، إلا جزءا لك على ما قدّمت
بذاك . فكلّ من يقتل بريئا ، لا بدّ أن يؤدّي الثمن ، إمّا عاجلا ، وإمّا آجلا ،
« وما ربك بظلام للعبيد » .

« ألا يمكن أن تطوي هذه الصفحة نهائيا ؟
« كيف أطويها ، وهي ملطخة بدم قلب طعنته مرتّين : مرّة حين مال إليك كل
الميل ، وهام بحبكّ هياما ، ومرّة حين مزّقته تمزيقا ورميت بأشلاته في الهواء .
كيف أنسى ؟

« عفوك يا سيدي حمزة . إنّي أقبل عتابك ، وأفهم التبايع ، وأريد أن أعوّضك
حسب استطاعتي ما ضاع . فلا تنسى إن شئت . إنّي أعرض عليك صداقتي ،
وأرجو أن تبقى بيني وبينك وشائج المودة . من يدري ، لعلّي أحتاج إليك ، بعد ما
فقدت جلّ أقاربي ، وأنت تعلم أن أترتي ليست أصلا من هذا البلد . ألا ترحمني
يا حمزة ؟ أرجوك

« لا يمكن أن أنسى ! وكيف أنسى ؟
« في هذه الأثناء ، تلقّى المسافرون نداء الطاقم ، يدعوهم إلى شدّ أحزماتهم ،
استعدادا للتزول ، بمطار أورلي .

من دفتر عامل منجمي

قصة قصيرة :

بقلم : محمد العائش القوتي

حمل أبي رقم 53165 بشركة فسفاط قفصة بالمتلوي .. يستيقظ كل صباح باكراً فيتوضأ ويصلي ويلبس ثيابه بسرعة فيجد أمي قد أحضرت له كعاداتها كل صباح فظوره ثم يخرج مسرعاً إلى العمل ... الجو بارد ... ريح غربية باردة تهب على المكان ، العمال يرتدون الأزياء الزرقاء والقبعات البلاستيكية البيضاء ، بعض العمال يحملون أجهزة الإنارة الكلاسيكية ، أما البعض الآخر فيحمل أدوات العمل .. يتحرك القطار فلا تسمع إلا صرير عضلاته وصفيره الذي يصدر عنه من حين إلى آخر وعند الوصول ينزل العمال بسرعة في نشاط ليلتحق كل منهم بمكان عمله داخل الداموس ، مكان مقفر تحيط به الروابي الصخرية من كل جهة ...

أضواء باهتة تتراعى من بعيد وأشباح تتحرك ، إنهم عمال الداموس ينزع أبي ملابسه ويبدأ هو ومن معه في العمل بالتهام تراب الفسفاط بالرشف وتعبثته في عربات صغيرة ...

وعند عودته في المساء من الداموس يذهب أبي إلى السوق ليشتري لنا ما نحتاج إليه من خضر ولحم ودقيق وزيت وسكر وشاي ولا ينسى كذلك الحلوى والبسكوي ثم يعود إلى البيت ونستقبله فرحين بينما تأخذ أمي القفوة تفرغ ما فيها ثم يجلس أبي وأجلس بجانبه ليحدثني عن ظروف العمل في الداموس فيقول لي :

- يا بني إن ظروف العمل داخل الداموس صعبة ، اجتهد في تعليمك لكي تنجح .

إن العمال رجال يعيشون مع الفسفاط وحياتهم رحلة تحمل الصراع وملحمة

مع الطبيعة والحياة ...

بقي أبي يجهد نفسه إلى آخر رمق من حياته لأنه يؤمن بالفعل والإرادة القوية، صمد صمود الحجرة الصلدة في وجه الرياح العاتية ...

كنّا نسكن منزلا متواضعا بناه أبي الذي يعمل بالمنجم ... وذات يوم من الأيام ذهب أبي كعادته إلى المنجم ليعمل بالحصّة الأولى وفي ذلك اليوم جاء خبر أن أبي أصيب بحادث شغل داخل الدأموس حمل إثره إلى مستشفى القرية المنجميّة لإسعافه ...

كان اليوم أسودا رماديا متشابكلا ... لا تسمع فيه غير النشيج والولولات التي تطلقها النسوة كأصوات البوم الحزين والصراخ الثقيل والبكاء المفزع ، وقادنتني قدماي إلى غرفة أبي ولم أكن أدري من أي باب دخلتها ، أصبح أبي جثة هامدة لا تقدر على تحريك جزءا منها إلا رأسه ويداه انتابني شعور غريب وأنا أنطلق إلى وجهه الأصفر وعنقه الذي ظهر كأنه برغوث أسود تشابكت عظامه الرقيقة وبرزت كأسلاك كهربائية ملتوية ... أغطيته البيضاء متسخة بالدم الأحمر ترمز إلى الموت والعذاب بقيت أنظر إلى وجهه الشاحب المصفر ثم قلت لأبدد الصمت المحيط به :

- ألا تحسن بالجوع ؟... ألا تجد شيئا تأكله...؟ فضحك أبي آخر ضحك قفي حياته وقال :

- ليس لي حاجة إلى الأكل أنا عطشان ... أريد الماء .

- ألم يقل لك الطبيب أن دواءك هو الشبّع الماء غير صالح في مثل هذه الحالة .

- لا تقل لي هذا .. اعطني أرتسوي بالماء ودع الموت بيسد الله إن الله مع الصّابرين ...

وتناول كأس الماء وشرب حتّى ارتوى ... وبعثة ذهبت عن ذهني كلّ الأفكار المشوّمة ... كان جفناه الأسمران يرفان بشدّة ، وقد أصبح حطاما متبهالكا من غير شك... سيموت مثل والده بدون عزاء كان قد شرد بنفسه وأفكاره بعيدا... بعيدا عني وبدأ صوته يضعف شيئا فشيئا واشتدّ امتقاع وجهه ، وعرفت

أنه سيلفظ أنفاسه الأخيرة أمامي وأنا لا أدري ما أفعل ؟
وقفت أمامه مذهولا وانسابت التخيُّلات إلى رأسي متعقِّدة وضاق بي
الحناق ولا أدري ماذا أفعل وبقيت واقفا صامتا تائها وأخذ صوته يخفت
ويتلاشى فأسبلت جفنيه على كآبة موحشة وانحدرت منهما دموع كثيرة
مهَّدت السَّبيل لآخر دَمعة أكثر غزارة .

.. بعد وفاة والدي شعرت ومازلت أشعر بفراغ كبير في حياتي ، تعلَّمت
أنَّ للصَّمت ضجيجا يصمُّ الأذان ويشردُّ صداه بين جدران غرفتي ، فالليل
يجثم على صدري ويشدُّ عليَّ الحناق وأنا ممدَّد في فراشي .. شيء مخيف
ومزعج أن يشعر الإنسان بتجمُّد الكلمات في باطن قلمه ... لماذا لا تنفجر
الكلمات حتَّى تُلطِّخ نِصاعة ورقة دفترتي ؟؟ ، هذه الورقة لكم أقلقني
بباضها حتَّى خلت أن نفسي عاجزة عن الإنطلاق ... خاصَّة بعد مرور خمسة
وعشرون سنة على موت أبي ، وستَ وعشرين سنة في عملي وفصلي منه
... عجبا متى كنت أجزو على قول أشياء واضحة ذات معنى ... إنَّه الوهم
... الوهم الَّذي يضيق عليَّ الحناق حتَّى يتركني صريعا ، ومرة أخرى أعود
أحيا فراغ ذاتي ... وذوات الآخرين ... أترقَّب ... أنتظر لحظاتي ... الحيرة
يذوِّبها الفراغ والضَّياع وقلق لا يفنى ...

إنَّ روحي تحيا كلَّ ربيع بالرَّغم من الأعاصير والأشتية المتكرِّرة طوال
أعوامها المتعاقبة ، حقًّا إنَّها ذرَّة من الأرض ستعيش وتتفتَّح من الثرى
خضرة وورودا وأزهارا ... بيد أنَّها لن تعيش في عالم الصَّمت والسَّكون إنَّها
ستظلُّ في حرمانها وشقائها ، إنَّ نغمة الحبِّ لا تعطى إلاَّ للمهتدين من
الأحياء . إنَّ الحبَّ منذ حواء وآدم وإلى الأبد ... هو انطلاقة عبر الحدود ...

مهرجان مرآة الوسط الأدبي

الدورة 12

سيدي بوزيد : 18 ، 19 و 20 جوان 1999

نافذة على أدب القرن 21

بقلم : جلال باباي

حظّ معشر الشعراء والأدباء الرجال بأرض سيدي بوزيد الخصب المغطى بعد لذيذ التعب وشهرة العناء .

لبست إذن سماء مهرجان << مرآة الوسط >> الوطني لأدب الشباب في دورته 12 لحافا للظلّ وحلّة من الفرح والقل ، ربّما تمتصّ جهد وأرق الطيور الآتية من كلّ حذب وصوب ، حلت بفضاء دار الثقافة أبي بكر القمودي لتصنع من أركانها عشّا دافئا ومساحة للإبداع والإقناع .

على مدى أيام 18 ، 19 و 20 جوان 1999 جاءت أسراب المبدعين تحمل دفاترهم جميل الكلام وبذرة حبّ في عمق بوزيد تنام ، لتتبع حتما وتورق سنابل من حرير الكلام

*** فاتحة العرس ... مطر ... مطر :**

انطلق عرس المرأة وجنّدت أفئدة القادمين إليه بالأمال الكبيرة ، كيف لا وافتتاح دورة هذه السنة كان مضمّنا بالمطر ، فكان أوكّ العرس قطر ثمّ انهمر ، أطفأ على إثره الوافدون على مهرجان << مرآة الوسط >> الأدبي لهب الصّيف فنزل رذاذ الماء بردا وسلاما على كلّ النفوس تقدّم بعدها رئيس المهرجان السيد : محمود الحرشاني الهريتا وألقى كلمة ترحيبية بضيوف المهرجان والمشاركين في فعاليّاته ، يتقدمهم السيّد : الطاهر الشعيري المعتمد الأوّل بولاية سيدي بوزيد والسادة :

معتمد سيدي بوزيد والمندوب الجهوي للثقافة ورئيس البلدية السيد : محسن القيزاني ... إلى جانب ضيفة الشرف المجلة الشاعرة الرقيقة والمهذبة : جميلة الماجري ، وثلة من شعراء تونس ورجال الإعلام المكتوبة والمسموعة وحتى المرئية ، وقد أشار السيد : محمود الحرشاني في كلمته << أن مهرجان << مرآة الوسط >> ترعرع ونشأ على سياسب هذه المجلة الغراء التي تحتفل بمرور 18 سنة من عمرها ، تولد عن رغبة جامحة من الهيئة المشرفة على المهرجان في خلق تقاليد أدبية لدى شباب تونس المبدع ، والمثقفين بكامل أنحاء الجمهورية التونسية سيرا على منوال سعي سيادة رئيس الدولة : زين العابدين بن علي بكريم رعايته وفائق عنايته بالمشقفين والثقافة عامة وبين رئيس المهرجان أن هذا الملتقى الأدبي يعد محطة هامة في المشهد الثقافي التونسي ومساهمة فعالة في حركة العطاء الثقافي يحملنا مسؤولية كبيرة للرقى والتطور من دورة إلى أخرى . >>

أما المندوب الجهوي للثقافة ، فقد جاء بين رداهات كلمته بأن الثقافة مازالت وستظل السند الأول للمشروع الحضاري لفلسفة التغيير التحديشية لذا فإن هذا المهرجان ينخرط تحت هذا المبدأ ويفتح المجال لإحكاك شعراء الناشئة بشعراء تونس الكبار لإثراء التجربة وتقييم مضامين النص الشعري أو القصصي . في حين عرج السيد : الطاهر الشعيري قائلا أن هذا المهرجان يؤسس بالضرورة لمرحلة الإمتياز ، فهو ملتقى ثري أنبثق عن مجلة << مرآة الوسط >> فأدنى واجبه ، قدم لأبناء تونس الكثير وعائش صناعة العقول ، معتبرا الثقافة هي الحصن الصلب والواقي للأمة ، لذا كان واجبا علينا احتضان ورعاية هذه الطفرة من المبدعين الناشئين حفاظا على حصن هذا البلد الأمين .

وقد مثل مهرجان << مرآة الوسط >> الأدبي إقداما وهلوسة فكرية أنشأها السيد محمود الحرشاني فبلغ بها الإقناع والإشعاع ، فكانت بحق مغامرة أدبية ربحت من ورائها تونس كسبا ثقافيا .

* الأمسية الشعرية وتكريم شاعرة تونس الأولى : جميلة الماجري

هذه الشاعرة لا تحتاج إلى تقديم فحضورها ضارب في القدم على الساحة الفكرية ، فصاحبة ذواتي << الوجد >> و << النساء >> جامعة لصفات نبيلة ، إذ

عرفناها أستاذة في لغة الضاد وصحفية مبدعة تكتب من قلبها ثم شاعرة ترنو
حاملة لأرحب وأجمل التّخوم الإنسانية .

إذن تسلّكت الشاعرة بين المقاعد ماء السلسبيل ، لتروي لنا ذكرياتها بهذه
الرّبوع ، رغم إنتسابها تاريخياً للقيروان ، فهي مشدودة جغرافيا لسيدي بوزيد
الأمان فتردّد قائلة : << قد أعجز عن التعبير عن الإختلاجات التي تنتابني وأنا
بهذه المدينة ، بيني وبين هذه الرّبوع وجائش لا يعلمها إلا سواي ، وسأذيع لكم
أسراراً في هذا المساء ، لقد عدت للكتابة بعد إنقطاع عشرين سنوات ، عندما
عايشت هواجس هذه المدينة الغير عادية ... عدت إليها صيفاً فأمرت ، للقدر
دور غريب والصّدف تتكرّر حين ألج هذه السهول التي تنتمي إلى تاريخ ضارب في
العمق : أرض البطولة والشهامة ، وميزات البداوة بما تحمله من معاني سامية ،
أشدّ على حماسة وصدق مدير المهرجان السيد : محمود الحرشاني ورغبته في
ترسيخ هذا العرس الثقافي وعلى عمق مضامينه وأهدافه ... >>

ثم توجّهت جميلة الماجري للحضور بطلب غاية في الرشاقة فتقول :
<< إذا شدّت عن المدينة المطر ، فادعوني للحضور بينكم >> صفّق على إثره جميع
الحاضرين إعجاباً وتقديراً لها .
ثم شمّرت الشاعرة جميلة الماجري عن قريحتها الفيّاضة بأحلى وأعطر ما
كتبت ، نفتطف من قصيد : << اعتذار >> الذي كتبته تكفيراً عن ذنبها في شأن
تغيّبها عن الأصدقاء والأحبّاء بسيدي بوزيد ... هذه المقاطع :

1.

تأخرت عن موعد الحبّ جداً

فخلّوا الملاة

وهلأ دعوتكم

أحبّتكم بأسرع برق .. ردّ السّلام

فقد كان هي دلال الأحبّة

تأخرت عن موعد الحبّ جداً

وأنت تزيل بقلبي

وما بين كفي وقلبي ...
... سوى دقة القلب
كيف تطول المسافة كيف !!
بين قلبي وبينني
- 2 -

ومجد القبائل مجدي
وثوراتها حدّدت منذ بدء ي
فكنت أجيء إليكم
... ولا أنتمي
... فيا ليت تلك الصبيّة
ذات وهم بيت أنسابها
ليتها لم تكن ضيّعت
ليتها ... ليتها ...

ثمّ واصلت الشاعرة تأليفها ... فقرأت «ذاكرة العشق» وهو قصيد مهدي إلى
لسان الدّين بن الخطيب ... و «الحبّ والموت»
<http://ArchiveBeta.Sakhrit.com>

فكنّا أجمل العاصين معصية
وأول من بباب الله وقفوا
ثمّ قصيدة «أنشئ الله»
بعض الرّجال بك
في الحبّ ما صدقوا
وبقيّة ... ماتوا وما عشقوا
ما عذرهم ؟
لو سيسألون غدا
مرّوا بهجنّب النّبع وقرأقا وما شربوا

وتتالت القصائد تدغدغ السواكن ... فتعشق الأذن قبل العين أحيانا وأحيانا ...
ومن «محضية إسمها القيروان» نقرأ :

... ولو خيروني

لكنك حصيرا

وصوت المؤذن عند الغروب ...

.... تمنيت لو كنت محضبة

بقصر المعز

وكان القيروان

وتستمر الرحلة بدهشتها ترفل فتسمعنا جميلة الماجري أجمل ما كتبت في ديوان

النساء : << كهمانة >> و << اغتراب الهوى >> ثم ختمت الشاعرة قراءتها

بالمسك فسبحنا معها على تلال : << الهوى القيرواني >>

تمضي الفصول وهذا العشق مؤتلق

وكل فصل له من صيفها حرق

لا النوم بلغه في الحلم ما منعت

أو كان خلصه من وهمه الأرق

يجد من كل فصل في هواه هوى

وهي الفصول ، ولون العشق ، والقلق ...

<http://Archivebeta.Scribd.com>

... هن النخيل إذا ما لاع مرتفعاً

فيهن منه شموخ القد والعنق

والنار تقدح . لو محتاج . جذوتها

من كرهن فيذكر النور والألق

ثم أتى الشاعر : جمال الصليحي يللم دهرته ويمتطي قلق اللغات ... يسائل ذاته

المرحفة عن سلوان لغربة النفس هذا الشاعر غير عادي من خلال تركيبة قصائده

التي ضمها تضاريس من الصور الوثابة نحو الروعة ، فجاد صاحب << وادي

النمل >> لواحدة من روائع قصائده ، وهذا مقتطف :

سأسافر صباحاً

أحبائنا

أحتاج فسحة ...

.. بين اتّسع الجرح
ترجمة النّخيل
لأمتطي قلق اللّغات
إلى السّماء دليلاً ...
... قلت ازرعيني
بين حالك والرّحيل
فلماً خلع الرّقاق
بعثت ملامحها إليّ رسولا ...
... بيني وبينك

يا ذا الشّوق ما علمت
هذه المساءات

وتلك قافية صبّت على وتر
بغير ما دندن العشاق
بينني وبينك

هات اسقني .. يوح ذاك الماء
هات اسقني ...

لم أزل وحدي على ضماً
هات اسقني

لم يزل وجهي سمرته
هات اسقني

من شموخ النّخل
نزعتة للإتماء

وعزّ النّخل منفرداً

بينني وبينك ... ماضينا وحاضرنا
أهداب مراودها

غمد المكاحل

لم تحفل بها نساء ...

شاعر الجزيرة الأستاذ : « محمد السويسي » نسج من أمواج البحر صلصلا
من حرير الكلام ومساحة ضاربة في الزرقة ، فأبحر معه الحاضرون إلى سكينه
الجزيرة ليزرعها ويأبهم وردة وخيمة للسلام ...

الشاعر : « محمد السويسي » قرأ علينا ما تيسر من ديوانه الأول :
« هدبل البحر » شذرات من قصيدة : « تريلا تريلا »

تريلا ... تريلا ينادي أبي	ويرفع من صوته المتعب
بهزازه سمك طيب	يباع إلى المعشر الطيب
لقد عاد من بحره مثقلا	بصيد سمين ولم يفلب
وزورقه رغم أنف الردي	تحدى الرياح ولم يفلب
تريلا ... تريلا ينادي أبي	ويرفع من صوته المتعب
تريلا ويحملني صوته	إلى أمسي الذاهب الذهبي
وتغمرنى ذكريات الصبي	ألا نعم ما منته من صبي
... وأدخل كتابنا متعبا	أشوش من شدة التعب
ويضربني سيدي ضربة	فأفقت من شدة الغضب
أعود إلى بيتنا فرحبا	أصفر من شدة الطرب

وتستمر الأمسية الشعرية ... حاملة ... بالذوات منادية لعشق الصلوات ...
يتجه الضوء نحو ملامح هذا الطفل الهادي فترتبك وسامة الوجه وتبتدئ الحيرة من
أعلاه حتى يمتد ... إنه الشاعر والصحفي الرخال الصديق : الطيب شلبي أصيل
بوزيد الجمال وخيمة الظلال فقرأ مقاطع من « الزهرة البرية » أهداها بكل حب
إلى الشاعر الرخال : عامر بوترة :

تقموتة أغنية شاردة والمطر

تهمي

تقموتة بعيدة جداً

والقلب بهمي

تقموتة لو حكيت لي

سما تظللني

ولي شجر

وتوقفت الشهوة الشعرية مع ظهور الشاعر << محمد الصغير >> الذي حملت دقاته
قصاد حبّ وولاء لأرض تونس الروعة والبهاء فيردّد :

بلادي

هي أمسي وحاضري

وامتدادي

وبين ردّهات قصيدة : << بصمة زائر >> نقتطف :

أنا لا أقول ... عشقت

ولم أدع

فالعشق ... بصمة زائر في مخدعي ...

* الورشات ... محطة لتقييم التجربة وتوق للثبات :

قبل إنطلاق أشغال ورشة الشعر ، تأثت بكل تلقائية دردشة ظريفة وخفيفة قام
بتنشطها الشعراء : جمال الصليحي والسيد السالك وقد احتوى مضمون هذه
الجلسة الحميمة حول قصيدة النثر ومستقبل القصيدة الخليلية أمام انتشار القصيدة
النثرية ... فتواترت ندوات البعض << نحن نكتب عصرنا ولا نكتب عصر
المتنبي >> و << القول الشعري أصعب من النظم الشعري >> . << ليس هناك تطوّر
على مستوى كتابة الشعر بل هناك تجريب >> ... وتوقفت المطارحة الأدبية
الصباحية بحلول تركيبة لجنة التحكيم التي ضمت :

محمد السويسي (رئيسا)

محمد الصغير (عضوا)

خير الدين الشابي (عضوا)

فضاء الورشة كان مشكّلا و محلاً بفيسفساء جميلة مرفوقا ببعض الأواني
الفخارية التاريخية تناسرت بين أركان القاعة فخلنا أنفسنا فسي مغازاة
<< علي بابا >> وكدنا نصف الحضور بالأربعين مبدعا وشاعرا ، إذن انطلقت
القراءات المدرجة في المسابقة دون مفاضلة ولكن كما جاءت من طرف المشرفين على
الملتقى ، فنودي تباعا للأسماء التالية :

* عبد الستار بدر الدين (كسرى العليا) - سليانة - وقرأ قصيدة آبار
* جلال باباي (أكودة) - سوسة - وقرأ : شهقات بين تخوم العشق السرمدي
* سعاد الشايب (الوردية) - تونس - وقرأ مكانها زوجها : رحيم جماعي
قصيد : << شرفات الروح >>

* منذر القاسمي (جدليان) - القصرين - ب : << قصائد قصيرة >>
* عبد الله مبروك (قفصة) ب : << الوصية >>
* الهادي العثماني (القصر الجديد) - مدنين - وشارك ب : << حريق في مدن
الصمت >>

* فرحات عروة (جربة) وشارك بقصيد : << لمسة وفاء >> وقد أهداه إلى
مدينة سيدي بوزيد حباً وتقديراً .
* الهادي الميساوي (القصرين) قرأ قصيدة << يوم التقيت بها >>
* حمدي محمد القمودي (سيدي بوزيد) ب : << شجون الكحل وحرانق
التخيل >>

لجنة القصة شهدت مشاركة 14 قصة قصيرة ، اختلف أصحابها في طرق كتابها
وصياغتها وتعددت مضامينها ، وقد أشرف على ورشة القصة السادة :

عبد العزيز فاخت (رئيسا)

مبروك المتاعي (عضوا)

محمد الكحلوي (عضوا)

* المجلس الأدبي ... سنة << مرآة الوسط >> الحميدة :

كعاداته ، يتميز مهرجان << المرأة >> بخاصية غاية في التفرد ، دأب على
تنظيمها المشرفون عليه وإدراجها كسنة حميدة ، وقد وقع الاختيار هذه السنة على
دعوة رئيس إتحاد التونسيين الشاعر : الميداني بن صالح ليروي في هذا المجلس
الفكري ، أحلى تفاصيل تجربة الظاهرة والخفية . وقد تشرف السيد محمود
الحرشاني بتقديم لمحة ضافية وشافية عن مسيرة هذا المبدع ، فأوضح أن تجربته
الفكرية ناهزت 30 سنة ، حفظ القرآن ، كما درس السيد : الميداني بن صالح
بالزيتونة ، جامعة بغداد ثم السريون

يرأس إتحاد الكتاب التونسيين منذ 1991 : يدير مجلة « المسار » الأدبية وقد صدرت له عديد الكتب والدواوين نذكر منها : قرط أمي (شعر) - الليل والطريق - زلزال في تل أبيب - من مذكرات خمّاس - الصوت الخالد (1981) - الوحام (1985) - الأفئدة (1988) ألحان وأناشيد للجيل الجديد (1997) - تونس الإشعاع على درب التغيير (1997) ... له مجموعتان تحت الطبع : « آقياس في كهف الظلمة » و « في رحاب المتولي » كتب في التاريخ ... « الثورة الصناعية والمد الاستعماري » . « تاريخ القرن 18 »

تحصل على الصنف 3 و 4 من وسام الجمهورية ، ثم الميدالية الذهبية للسابع من نوفمبر ، ولقد الصنف الأول من وسام الاستحقاق الثقافي .

ومع رذاذ المطر الذي نزل كالحبر على المهرجان قدم شاعر الجزيرة « محمد السويسي » حلقة خاصة من البرنامج الإذاعي « بيت القصيد » (إذاعة صفاقس) الذي اهتم مضمونها بالشاعر : الميداني بن صالح ... وقد مثلت هذه الفقرة إضافة استحسنها الحاضرون بالمهرجان

ثم تقدم ضيف المجلس الأدهي المجل : الميداني بن صالح ليسرد ماجادات به قريحته فبين أن في حضور السيادة والي بنعدي بوزيد وبقية الإطارات الجهوية أكثر من معنى ودلالة فهو حضور لمن يتحمل مسؤولية التغيير وتكامل بين السلطة ورجال الثقافة ، إذ أن المشروع التغيير لا يمكن له أن يتحقق إلا إذا اعتمد على أرضية إبداعية ثقافية وفكرية نيرة ومستقبلية ... ف « الثقافة سند للتغيير » كما جاء على لسان سيادة الرئيس : زين العابدين بن علي

كما نوه بالإلتفاتة الكريمة والدعم والمساندة من لدن سيادة الرئيس لإتحاد الكتاب ، وهذا يمثل إطمئننا في نفوس المثقفين ويدعوهم للعمل الصادق الشجاع والقادر على التجاوز تحت شعار : « في الإمكان أن نكون أحسن مما نحن عليه الآن » في حضن تصورات قاسية تعتمد العقلنة خاصة ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين عصر المفاجآت الذي يسير بالحضارة سيرا في سرعة الضوء وحركة التغيير تمثّل تطلعا نحو الأعلى والأجمل تماشيا مع سيرورة هذا الزمن .

يقول الميداني بن صالح : « كنت أنقرس في الوجوه ، فلا أعرف أحدا ... منزلنا

كان قريبا من المقبرة ... كنت أودّ قراءة الفاتحة على والدي وأجدادي فلم أتعرف
قبورهم .. إذ وجدت الرياح قد أتت على آثارها ، شعرت بالغرابة في مقبرة
أجدادي .. فاستنجدت بالحفاصة وكتبت قصائدي تحت النخلة ... >> لعلها تدلّه
على مبتغاه ... الشاعر الميداني بن صالح جنّح بيديه وذرف من ذاكرته ...
قصائده فيقول :

هذه النخلة لي

إنّها الظلّ ولا زال ...

... وأرح ظهرك للجدع

واسمع الصّوت ...

الذي زلزل ...

... هذه النخلة لي

قف وتعلّم

إن تعلّمت تألم

... حذاري أيّها الغرّ

حذاري لا تتكلّم

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تكلم من حروف من جراح

وبصوت يتألم

... هذه النخلة لي

أمّ رحيمة

وظلّ وقرينة

ههههه ، دفين وحنان وسكينة

... هذه النخلة لي

أجنحة

سلم ، نور الوصول

وأنا ظلّ بها

عرضا وطول

كرم إثرها هذا المبدع من طرف السيد : محمد الغرياني والي سيدي بوزيد وباهدائه
شعار المهرجان وشهادة تقدير .

جاء دور الضيف الثاني وهو الشاعر : سويلمي بوجمعة ، الذي يعتبر من أصدق
وألطف شعراء تونس ، عرف بالشاعر المنجمي والعمالي الذي هو أحد رواده ، هنا
هذا الأخير سيدي بوزيد بهذا المهرجان الفتى وموازرة السادة المشرفين عليه ، ثم تلا
ما تيسر من قصيدة << الشاعر >> المهداة إلى الميداني بن صالح :

قال للنهر توقف

وانحنى يلهب جعرا في حصاه

شق في الأرض

طرائق من دخان

ومضى يبحث فيها عن سواء

إنه الآن

وحيدا في سماه

يتأمل ظلّه الممتدّ

في كلّ إتجاه ...



إثرها أنشدنا مقتطفات من ذكرياته مع الشاعر المرحوم : عامر بوتربقباريس
تحت سمائها الرمادية وأرصفها الباردة ، فأهدى قصيدته إلى روحه الطاهرة :

إنّي رجل مقسوم الظهر

فاتتني الدهشة

خانتني أحلام العصر ...

... إنّي مصنوع من سفر

ويخيّل لي أنّي من زيتونة

سرقطني أرصفة المدن ...

* إختتام ... في مذاق الزّعتر و ... تغريد الحمام :

بينّ خلاله مدير المهرجان ... << أنّ المسؤولية أضحت مضاعفة تحملنا تعباً لذيذاً

لنكون في مستوى الطموحات والثقة الرئاسية التي حباها بها سيادة الرئيس :
زين العابدين بن علي من خلال تخصيصه لمجلة << مرآة الوسط >> برسالة
شكر ... >>

مثل مهرجان << مرآة الوسط >> الأدبي فرصة لتكريم ثلة من رجالات الفكر
والثقافة والإعلام اعترافا بمجهوداتهم وتقديرا لإبداعهم وقد كان التكريم في هذه
الدورة من نصيب :

* شاعر الجزيرة : محمد السويسي ، بمناسبة صدور مجموعته الشعرية : << هديل
الأرخبيل >>

* الأستاذ : عبد العزيز فاخ

* الشاعر والأستاذ : سولمي بوجمعة

* الشاعر : محمد الصّغير

* القاصّ : مبروك المناعي

وثلة من الإعلاميين :

ARCHIVE
محمّد الكحلّادي (الصحافة)

http://Archivebeta.Sakhril.com (الحرية)
الطيب شلبي

علي المرزوقي (برنامج : دروب القمر)

محسن بن أحمد (الصّباح)

علياء رحيم وفتحية جلاّد (إذاعة المنستير)

الإذاعة الوطنية

قناة تونس 7

جمال الدّين بالرحال (برنامج : لكلّ النّاس)

إذاعة صفاقس

إذاعة قفصة

إذاعة الشّباب

إلى جانب بعض الإطارات الدّاعمة ... نذكر منهم السّادة :
عبد القادر الهاني ، طارق بوجلبان (مدير المركب الثقافي) الهادي العبدلي)

عضو فرع إتحاد الكتاب بسيدي بوزيد) كما نال شرف التكريم بعض الأصدقاء الأوفياء للمهرجان ... محمود الأحمدى ، الشافعي السليمي ونجلاء مقني (مجلّة : شمس الجنوب)

***جوائزالمهرجان....**

مسابقة القصة :

* الجائزة الأولى : بسمة البوعبيدي (توزر)

* الجائزة الثانية : عارم الرجائي (سببلة)

* الجائزة الثالثة : كمال المبروك (الخليديّة)

مسابقة الشعر :

* الجائزة الأولى : جلال باباي (أكودة)

* الجائزة الثانية : منذر القاسمي (جدليان)

* الجائزة الثالثة : محمد القمودي (سيدي بوزيد)

مسابقة المقال الحضاري والدراسة النقدية :

* الجائزة الأولى : محمود الغافقي (الموزنة)

* الجائزة الثانية : زهرة حمدي (سيدي بوزيد)

مسابقة القلم الذهبي :

* الجائزة الأولى : خير الدين الشابي (توزر) عن مجموعته الشعرية : >> أتعبتني النساء <<

* الجائزة الثانية : السيد السالك (القيروان) عن مجموعته الشعرية : >> ذاكرة الوجد <<

كما قامت هيئة المهرجان بتكريم أصغر شاعرة تونسية : ميساء الحميدي (القيروان) بمناسبة صدور مجموعتها الشعرية
***كلماتالوفاءوالذكرى.....**

محمود الحرشاني (مدير مهرجان مرآة الوسط) : لقد حققت الدورة الثانية عشرة لمهرجان مرآة الوسط الوطني لأدب الشباب في إعتقادي تقدّماً هاماً وملحوظاً عمّا سبقها من دورات ، وهذا راجع إلى أهمية الأسماء التي إستضافها المهرجان في

هذه الدورة مثل الشاعرة جميلة الماجري والشعراء : جمال الصليبي ، محمد السويسي ومحمد الصغير وسويلمي بوجمعة والقاص عبد العزيز فاخت ، ومجموعة من رجال الصحافة والاعلام . وشكل المجلس الأدبي والفكري مع الشاعر الكبير : الميداني بن صالح رئيس إتحاد الكتاب التونسيين محطة هامة في هذه الدورة بالمقارنة مع تجربة الرجل الثرية في حقل الإبداع والمعرفة والفكر وتنوع مصادر هذه التجربة .

ولعلي لا أجنب الصواب ، إن قلت أن هذه الدورة هي من أنجح دورات مهرجان << مرآة الوسط >> وقد جمعت كتابا شبابا من كافة ولايات الجمهورية وحوكت تونس بأكملها إلى ربوع سيدي بوزيد ، إن هذا المهرجان يصنع اليوم الحدث الثقافي باستحقاق كبير وأضحى محطة ومزارا لكبار كتاب تونس ومشقفيها ومبدعيها وأدبائها وشعرائها ... كل هذا يجعلنا نقول إن المهرجان كبر فعلا وكبرت معه طموحاتنا والإعداد للدورة الثالثة عشرة يبدأ من الآن ، ونحن نعيش طعم نجاح الدورة الثانية عشرة

ARCHIVE

صالح مبروكي (أم العرائس) * الحديث ذو شجون *
إن الكلام على الكلام صعب أقول عن عرش الكلمة في عرش الكلام ، انفجرت بتابع الإبداع في سيدي بوزيد ذات يوم من أيام شهر جوان فأمطرت السماء على إيقاع << قيروان >> جميلة الماجري و << غل >> جمال الصليبي ... فزغردت الأفئدة فرحا بزفاف الكلمة البسمة ، يعانقها الشعراء الشبان ويذوب في عطرها القاصون الهواة ...

... عشت يا مهرجان << مرآة الوسط >> ودمت مرآة صافية تعكس إبداع أدبائنا الشبان راعية لهم حتى يشتد عودهم وتورق كلماتهم ... الشكر كل الشكر للسيد : محمود الحرشاني مدير المجلة والساهر على حظوظ المهرجان وكل عام والمهرجان بخير

زهرة حمدي (سيدي بوزيد) * اغناء التجارب الشبايئة *

كنت حاضرة في الدورة الماضية وللمرة الثانية أعود وبني حنين إلى هذه الأجواء التي تتقلص فيها المسافات يلتقي الجمع من أنحاء شتى ، مانحين أصواتهم

للشعر والنثر يلقونه في المجالس المبرجة في المهرجان وأثناء سهراتهم الحميمة ، ودعني أقول إن البرنامج كان مقبولا بل ناجحا في أغلب فقراته وبالتأكيد من دورة إلى أخرى سيعرف هذا المهرجان مزيدا من الإشعاع الفكري الذي يساهم في إغناء التجارب الشبابية على المستوى الوطني ... في الختام ، أود أن أعترف بأمر أثلجني كثيرا وهو لقائي بأصدقاء لم أتصور أن الزمن سيكون نحبا معي في التعرف إليهم والحديث معهم عن قرب ...

السيد السالك (القيروان) * إستجلاء مواطن الإبداع *

ككل المنتقيات التي صتعت لها جمهورا ونحتت لها مكانة على سلم السمور ، سعى مهرجان مرآة الوسط إلى التميز وكان رائد المشرفين على حفظه التائق وإستجلاء مواطن الإبداع والاحتفاء بالمبدعين على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم الثقافية ومد جسور التواصل بين الأجيال .

كان العزم على كسب هذا الرهان الهاجس والواعز الذي جعل من هذا الحفل مرآة حقيقية تعكس الواقع الثقافي التونسي وتساهم في رسم وإرساء معالم المشهد الأدبي (شعر ، رواية ، قصة ونقد)

وما حضور بعض الأسماء التي لها باعها وبزيقها في الدأخل والخارج إلا دليل على رغبة المشرفين على تحقيق التميز ، إن لم أقل التائق والامتياز . كنت سعيدا بحضور فعاليات هذا المهرجان والتعرف على بعض الأسماء التي سبق لي معرفتها عن طريق الصحافة وهي أسماء لها حضورها وبصمتها وهي جذيرة بالاحترام والتقدير ... شكرا للساهرين على حفظ هذه التظاهرة وشكرا لجلال باباي الجميل بحجم الود والصدقة ، الذي منحني فرصة لأشكر لأهالي سيدي بوزيد كرم الضيافة وحسن القبول وهذا الإيثار ليس جديدا على هذه الربوع

خير الدين الشاذلي (توزر) * نصوص متميزة ومستقبل رائع *

إن هذه الدورة ليست كالدورات السابقة كما وكيفا بحكم أنني كنت ضمن لجنة التحكيم التي تركبت من الإخوة الشعراء ، سويلمي بوجمعة ومحمد السويسي ، لاحظت في الحقيقة نصوصا كثيرة تستحق التشجيع والدعم المعنوي ونصوصا متميزة جدا سيكون لها شأن في الكتابة الشعرية في تونس أذكر على

سبيل المثال الشاعر الشاب : جلال باباي ومنذر القاسمي وحمد القمودي ونحن بدورنا نتمنى لهذه الطاقات الشابة مستقبلا مزهرا رائعا نحو ثقافة الإمتياز ، وليس غريبا عن أبناء تونس الخضراء أن تنجب أسماء لامعة تضمن لنا مسيرة أدبية مشرقة ، إنها تونس الإبداع ، تونس الشابي وخریف والقائمة تطول ... أتمنى أن تتواصل هذه التظاهرات لتفرز بدورها سلسلة مترابطة ومتكاملة نحو غد أفضل .

ميساء الحميدي (القيروان) أصغر مشاركة في الملتقى * دورة النضج والكمال
لقد بلغ مهرجان مرآة الوسط دورته الثانية عشرة وهي دورة النضج والكمال ربّما إن استطعنا قول ذلك . ونظرا لأهمية هذا المهرجان في أنه جمع أقطاب الإبداع في جميع المجالات كالشعر والقصة مثل السّادة : الميداني بن صالح وسولمي بوجمعة ... ولذاك فهو يهيئ الجو الملائم لتلاقى الإبداعات وإحتكاك الشعراء ببعضهم البعض ومزيد التعارف .

كمال المبروك (الخليدية) * المهرجان تجاوز طفولته *

في البدء أذكر بأن هذا المهرجان تجاوز طفولته في الدورة الثانية عشرة ، وحلما نحن الأدباء أن يكون مهرجان مرآة الوسط مثيرا يحتضن مبدعيننا من كامل الجمهورية وإضافة بعض الوجوه من الوطن العربي ، ليكون مهرجاننا مرآة للأدب في تونس ونتمكن من خلاله على التعرف على تجارب عربية والتعريف بإبداعاتنا ومبدعيننا في مثل هذه المناسبات .

لمسة وفاء

هل بأشعار تردّ الإعتبار ؟	تنفع الطيب بهاء عن جدارة
تستميل القلب حسنا ولطافة	وتضئ الرّيع نورا وشرارة
إنني صبّ صريع بهواكم	ليت شعري يستزيد الاقتدارا
فأنا يا سادتي ابن الجنوب	قد تخيّرت ضيوفسي والمسار
فاليكم الركاب قد أشدّ	وبه << سيدي بوزيد >> كان المزارا
في الرّبع الخضر أنعشت رواحا	فاستزيد القلب عطفا وحرارة
« فسيدي بوزيد » نبع مستفيض	يحتوي الخيرات ذوقا وخيارا

في الفلاحة الأهالي في الصّداره
سادة الرّيع ، وعنوان الجميع
في ميادين عديده زان نجم
فبدور للثقافه ، والمعارف
هذه << بوزيد >> ترنو في بها ،
هي للغير عيون سلسيله
إنّك النبيوع ماء ، وصفاء
ولك التّرحال نصف العمر حبّا
فانثر الشّعر قطافا ورودا
فاصفي عني رجا ، وامحيني
فأنا يا << زهرة القطر >> مدين
قد أصدّ البعض حبّا في تعال

قد تخطوا كلّ درب اشتهارا
بغنون الفلح والأرض مناره
ملتقى الفكر ، وحسن الاستشاره
لتزيد المرء فخرا وانتصارا
كعروس تتجلّى في نظاره
درّه تعلو المراقي ومحاره
فلنقاسم القلال والجرار
في الرّبوع الخضر حسنا واخضرارا
ع الجياه الغرّ تاجا وعباره
فرصة التّعبير وصلا وشعارا
في هواك قد أطلت الانتظارا
منك أرجو العفو صفحا واعتذارا

ماي 1999

فرحات عروة

* قصيدة خاصة بمهرجان << مرآة الوسط >> أهداها الشاعر إلى أهالي سيدي بوزيد

* هوامش المهرجان

* في مأدبة الغداء الذي فاجأنا بها المشرفون على المهرجان في << بير العظام >> كان عدد المشاركين يفوق عدد الكراسي المعدة للأكل ، فما كان من السيّد : محمود الحوشاني ، إلا أخذ القرار المناسب وذلك بتمكين التشكيلة الأساسية من التزول للميدان للأكل في الفترة الأولى وترك البقية على بنك الإحتياط << للعب في الفترة الثانية >> !! حقّا لقد كان سي محمود ممرّنا كفءا ، ومقتدرا ، أكيد وأنّ العروض ستتهافت عليه مستقبلا من فرق أجنبيّة لنجاحاته في هذا المضمار .

* الشاعر السيّد السالك ، مدّني بانطباعاته حول المهرجان وهو على فراش المرض بمستشفى سهلول مثل هذه الحركات تثليج النفوس وتنمّ عن دقّة أخلاق هذا الانسان المتواضع وحيّه اللامشروط للأدب وعشاقه ، تمنياتنا بالشّفاء العاجل لهذا المبدع ،

... و << سلامتك من الآه >> ياسيد !!

* في اليوم الأول من المهرجان كان الشاعر حمدي القمودي هادئ الطبع ، تعلّق
محبّاه وداعة الأطفال ، وأثناء السهرة بالمبيت خرج هذا الأخير من سكنته ،
وفاجأنا بمشاكساته واستفزازاته اللطيفة التي أدخلت على السهرة هستيريا من
الضحك والإحتجاج أيضا ... << آش حطّبتلها يا ... خير الدين الشابي !! >> .
* ألقى صالح مبروكي أثناء هذه السهرة الشعرية قصيدا ، مطوّلا جدّا ولكن طريف
المضمون والمبنى .. مثل بدوره هلوسة فكرية وفلسفة حول توالد الحيوانات ... لقد
دغدغ هذا القصيد كوامن البعض وسافر بهم إلى عوالم من العجائب والغرائب ...
صدقا إنّ هذا الشاعر الهاوي هو فلتة من فلتات هذا العصر .
بالحبّ نلتقي صيف سنة 2000 .

